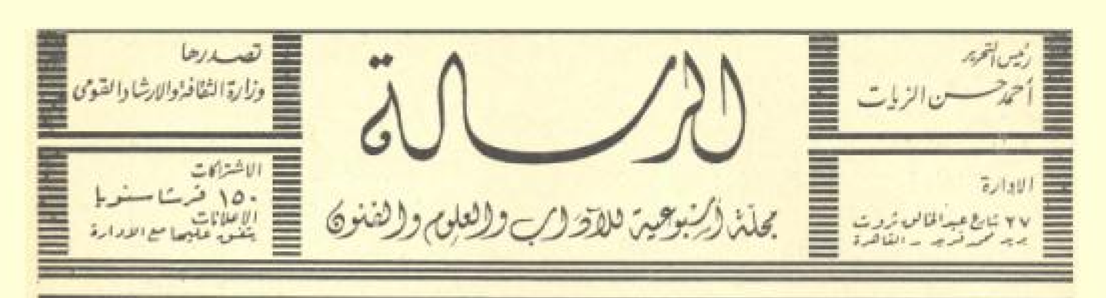


الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٢٨ – ٨ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ – ٢٦ سبتمبر ١٩٦٣ م – السنة الحادية والعشرون

الفهرس

قريتي بين عهدين

بقلم : أحمد حسن الزيات

قضيت شهري القيظ والرطوبة في القاهرة استقبل (الرسالة) العائدة . فلما انتهى الاستقبال واوشكت أن تستقر الحال رأيت أن أزور قريتي الصغيرة بعد غيبة عنها طويلة .

فدخلتها دخول المجهود المحرور وجد الظل والماء بعد وقدة الهجير وشدة الظمأ ، وأخذت أبسط رئتي لنفحات النسيم البحري لتذهب عن صدري لفحات يوليو وأغسطس ، واقلب عيني في الحقول المتصلة في بياض اللؤلؤ أو صفرة النضار أو خضرة الفيروز ، وقد أخذت يد سبتمبر تجردها من القطن الحريري الأشوك ، والرز المسجدي الهائج ، والذرة الوريقة الملتفة – ثم في النيل الذهبي وهو في أوج فيضانه ينساب هادرا في الترع والقنوات فيجعل من ضفاف الجداول وحفافي الطرق وحواشي الغيطان سلاسل سندسية من الريحان والعشب – ثم في الفلاح المكدود وقد نزلت عليه سكينة الرضا والأمل فانقلب شاعرا يتهادى في ظلال الشجر أو في مماشي الزروع ، وفكره مستغرق في الله الذي يضع البركة في غيطه والسعادة في بيته .

ثم رأيت القرية الجديدة والفلاح الجديد فلم أكد أعرفهما ! كل شيء قد تغير وكل حال قد تحول .. كانت قريتي الواقعة بين نيل المنصورة وبحر شبين احدى عشرين قرية من أخصب الطين يملكها من الغرب

باشا ومن الشرق امير ٠ وكانت كاكثر القرى المصرية كومة ضخمة من سباخ الأرض قامت عليها اكواخ متلاصقة بنوها بالطوب الاخضر ، وسقفوها بالقصب والخشب ، وحملوها بالعلف والحطب ، وجملوهـا بأفازين من الروث اليابس المشـكل ٠ ثم جعلوا ظهورها مراحيض للحاجة ، وبطونها مسرحا عجاجا لشتى الاوالف والدواجن من الكلاب والقطـاط والدجاج والمجـول ، ثم جمعوا بين قاعة الانسـان وزريبة الحيـوان فى فناء واحد ، فالحديث يمتزج بالخـوار ؛ والمضغ يشـتبه بالاجترار ، والرجل والثور ، والمرأة والبقرة ، والطفل والعجل ؛ يعيشون سواسية فى شيوعية من نمط فريد ٠٠ لا يؤديك الى هذه الدويرات العمى مسـلك واسع ولا طريق مشروع ٠٠ انما هى طوائف تفتحت كل طائفة منها على زقاق ضيق غير نافذ ، ولن تستطيع الدخول فى هذا الزقاق الا من الطريق الدائر حول القرية ـ نعم كان يشقها منفذ صاعد هابط متعوج وعر ؛ ولكنه بين الفجوات والحفر كان اشـبه بصراط الحق بين مزالق الفتنة ؛ يركبها من الشـمال مستنقع ومن الجنوب مستنقع ٠٠٠ ثم يحيط بها ويتخللها تلال من السباخ منها الرطب واليابس ٠ وفى أحضـان هذه التلال وعلى حواف هذه المناقع قامت مجالس القرويين يجلسون فيها تحت الجدران وفوق المصاطب يستجمون حينا من العمل الدائب والعناء المرهق ٠ لا يألمون للسع البعوض ، ولا ينكرون ريح الوحل ٠ ثم لا يجـرى بينهم الا الحديث القـابض للنفس ، كتضاعف الدين على الحقل ، وتحكم المالك فى الريع ، وفتك الآفات بالزرع ، والحاح الكساد على القطن ، وما تدخله تلك الحال على النفس الجاهلة من وساوس الاطماع وسخائم الحقد وغوائل الحسد ٠

اصطلحت على دمائهم الفقـيرة جراثيم الملاريا والبلهارسيا والانكلستوما فغدوا كواسف الوجوه خواسف الجسوم خوائر القـوى ، يعالجون المرض بالصـبر ، ويختقون الالم بالتسليم ، ويدافعون الموت بالتعاويذ ، ويسيئون الظن بالمستشفيات التى لا تقبلهم الا بالشفاعة ، ولا تعاملهم الا بالفظاظة ، ولا تحسن علاجهم الا بالمال فى عيـادات الاطبـاء الخاصة ٠ وأين المال من رجل كل ما يملكه أجرة يومه لقوت يومه ؟ وليت هذا القوت كان من الاقوات التى تصلح الجسم وتدفع السقم وترد العافية ! انما هو فى الغالب أرغفة من الذرة أو الشعير مأدومة بالسريس والمش والبصل ٠

استغل الملاك ضعفهم والمرابون جهلهم ، فوضعوا أيديهم على أختامهم يطبعونها على العقود والصكوك فى غير رحمة ولا ذمة ، حتى اذا انقضى الحول وآل كدح الأسرة الناصبةوجهد الماشية اللاغبة الى الثمرة المرجوة عدا عليها الدائن اللص ، أو المالك الظالم فجباها لجيبه أو جناها لمخزنه !

ذلك على الاجمال كان وصف القرية ، فهل تجد فرقا بينها وبين أخصاص الهمج فى نشأة الحياة وطفولة الزمن ؟

وتلك كانت على التقريب حال الفلاح ، فهل تجد فرقا بينه وبين البهيم الذى لا يصطنع العلم ولا يدعى المدنية ولا يزعم لنوعه الرقى ؟

***

أما قرية الثورة وفلاح الاشتراكية فوصفهما غير ذلك الوصف وحالهما غير تلك الحال ، ان القرية التى أزورها اليوم غير القرية التى عرفتها بالأمس ٠ لم تعد جزيرة من التلال السبخة فى مستنقع من الماء الآسن ٠ ردمت من حولها البرك ، وشقت فى خلالها الشوارع ، وبنى أكثرها بالطوب الاحمر ؛ وجرى فى بيوتها الماء المرشح ، واتصل طريقهـا بالطريق العـام ؛ وارتبطت مع المنصورة بأسلاك التليفون ، وصدحت فى دورها أجهزة الراديو ٠ ثم انشئت فيها جمعية تعاونية ومدرسة ابتدائية ووحدة صحية فانتظمت أمورها بالتعاون، وتكافأت لأبنائها فرص التعلم ، وصـحت جسوم أهلهـا بالوقاية والعلاج ، وعزت نفوسهم بالحرية والملكية ؛ وشعروا أن لهم كيانا مستقلا فى الدولة ، ونصـيبا موفورا من الحكم ؛ فارتفعت مكانتهم فى أنفسهم وفى أنفس الناس ٠

رأيت أهل القرية على غير ما عهدتهم فى المـاضى يستقبلون شـهرى سـبتمبر وأكتوبر فرحـين مستبشرين لانهم سيجنون القطن لمخازنهم لا لمخزن المالك ، وسيضمون الرز لجيوبهم لا لجيب المرابى ٠ فمزارع القطن كما أراها أصبحت مسـارح للفرح والمرح والامل ، تنساب بين خطوطها البيض أسراب الفتيات يجنين الثمرة الغالية وهن يغنين الاغـانى الجميلة ٠ ويحلمن الاحلام اللذيذة ، ويتخيلن هذا القطن الذى يجمعنه الآن بأناملهن ، ويضعنه فى أحضـانهن ، وقـد أصـبح الثوب الزاهى الذى

سوزى وشعاراتنا القومية

للدكتور محمد احمد خلف الله

جاءت تمشى على استحياء ، فقد كان لها عندى حاجة ، وكان هذا هو لقاؤنا الأول ، بل لقاؤها الاول لمصرى فى دائرة عمله ، فلم يكن قد انقضى على مقامها فى بلادنا غير اسبوع واحد لم تتعرف فيه على مصرى ، ولم تزره فى مكتبه او فى داره — ومن عاداتهن حين يكون لهن عند امرىء حاجه ان يسعين اليه — لأول مرة — فى خطوات بطيئة متثاقلة ، وان يقبلن عليه — عند النظرة الأولى — بوجه تعلوه حمرة الحياء والخفر ، وان يرسمن على شفاههن — عند التحية — ابتسامة حلوة عذبة تهيىء لهن المقام الكريم وتمكن لهن فى قضاء الحاجات المرجوة . . ومن عاداتهن أيضا أنهن حين يطلبن حاجاتهن من انسان يلقينه لاول مرة تحدثن اليه فى لغة مهذبة وفى الفاظ رقيقة شفافة تكشف فى قوة عن مواطن الرجاء ، وفى أصوات خافتة تشبه الهمس ، وفى جرس متغم يفتح مغاليق القلوب .

انهن يفعلن ذلك كله ايمانا منهن بأن تلك هى العدة التى تكسبهن الظفر ، وتمكن لهن من النصر ، وتحقق لهن كل رغبة وامل .

كانت تحمل فى حقيبتها مكتوبا من صديق عراقى يدير معهدا من معاهد دراسات الشرق الأوسط بأمريكا ، ينبىء فيه بأنها فتاة ذكية ، تجيد اللغة العربية ، وتعمل جاهدة فى سبيل الحصول على درجة الدكتوراه — فى موضوع من أهم الموضوعات هو « فشل الديمقراطيات فى الدول العربية » وأنها قد تحتاج فى بلاد الغربة الى من يدلها على معالم الطريق ، وانه قد اختارنى لهذه المهمة .

وختم مكتوبه بالتنويه بأنها فتاة جادة ، قويمة الخلق ، جيدة التفكير ، تستحق كل عناية وتقدير .

رحبت بمقدمها ، وسألتها عن مقامها فى ديارنا ، وعن رأيها فى أرضنا وشعبنا . وبلادنا ، وعن الصديق وأهل بيته . ثم دلف من وراء ذلك كله الى الحديث عن راى الصديق فيها ، وعن مركزى بالنسبة الى دراساتها ، وعن الخدمات السريعة العجلى التى يمكن ان اقوم بها .

واجابت فى صراحة نعهدها فى العلماء الذين يؤمنون بالحقيقة ، ويؤمنون بانفسهم ، ويؤمنون بان الحق احق ان يتبع . صراحة تكشف عن ذلك الورم الذى نظنه شحما ، وعن ذلك الوهم الخادع الذى نعتقده الحق الصراح .

لقد كشفت عن مواطن الضعف والخلل فى ثقافتنا اننا نستخدم الفاظا غير مفهومه ، ولغة غير منضبطة او مضبوطه . ان جرائدنا ومجلاتنا تستخدم من الألفاظ والعبارات كل غامض أو مبهم ، وتترك القراء فى حيرة من امر انفسهم او امر هذه اللغة التى لاتفهم .

* * *

انها انما جاءت لتتخذ من معانى هذه الشعارات القومية وسيلتها الى الكشف عن الأسباب التى من اجلها فشلت الديمقراطيه فى دولنا العربية . انها . تريد ان تعرف ما فى جوف هذه الشعارات من شحن عاطفيه تدفع الناس الى التضحية بالنفس والنفيس فى سبيل تحقيق الاهداف القومية وان تعرف ما خلف هذه الشعارات من تاريخ طويل حافل بالمعارك النضالية — المعارك مع الاستعمار ، ومع الملكية والاقطاع ، ومع الراسمالية البرجوازيه ، ومع كافة المنظمات السياسية التى عوقت او

****

اشتهينه ، والقرط الذهبى الذى ابتغينه ؛ والزوج الحبيب الذى تمنينه . فاذا عدن الى القرية فى المساء وجدتها زخارة بالحياة موارة بالحركة ، تمرح بحماسة الشباب وتموج بأطياف الحب ، وتهزج باناشيد الاعراس ، وتتلقى جزاءها الأوفى على جهادها الصابر طول العام من فلاحة الارض وخدمة الامة واعانة الحكومة .

رايت كل هذا بعينى فى زيارتى القصيرة فحمدت الله على ان تنفس بى العمر حتى عشت هذين العهدين ، ولمست الفروق البعيدة بين الحالين ، وتمنيت على الله ان أعيش حتى أرى عهد القرية التالى ، فى النعمة المرجوة من السد العالى !

احمد حسن الزيات

افسدت هذه الحياة الديمقراطيه .

لقد عن لها ان تستشير فى ذلك معاجم اللغة او دوائر المعارف ولكنها عادت من كل ذلك بخفى حنين . لقد كانت تقدر انها ستجد ضالتها فى دواير المعارف حين تكون الالفاظ من اصل غير عربى . وفى صورتها الأجنبيه من مثل ديمقراطيه بورجوازية ، بيروقراطية ، اوتوقراطية ، بروليتاريا ... الخ . وانها ستجد ضالتها فى المعاجم اللغويه حين تكون الالفاظ من اصل عربى ، وفى صورتها العربية . من مثل استقلال . استعمار . اشتراكية . عدالة اجتماعية . تكافؤ الفرص ... الخ . ولكن هذا التقدير لم يكن فى محله . فلم تهتد الى شىء مطلقا ــ ومن أجل هذا سعت الى سعيها المحمود ، والقت بمشكلاتها بين يدى .

***

ترى بماذا يشير القارىء فى هذا الموقف ؟

انى اعرف ان معاجمنا اللغوية لم تعرف هذه الألفاظ بعد ــ حتى ما كان منها من اصل عربى ، وفى صورة عربية . ان هذه المعاجم قد وقفت منذ زمن بعيد ، وتعطلت الحركة فيها فلا نمو مع المجتمع ، ولا مسايرة مع الحياة . وبدت هذه الالفاظ الحديثة وكأن لا مقام لها فى معاجمنا . وبدت هذه الألفاظ العربية القديمة التى حملت فى جوفها معانى وطنية وقومية حديثة وكأنها غريبة عن هذه المعاجم . وانى ليحضرنى فى هذا المقام فقرة من الزمان يشرح فيه مشكلات معاجمنا اللغوية ــ فقرة تكشف عن هذه الكلمة الحديثة القديمة « استقلال » وعن منزلتها فى المعجم ، ودورها فى الحياة . انها فى المعجم لا تزال فى اسرة لغوية لا يصدق الانسان فى وقتنا الحاضر انها منها . انها من اسرة « قل » التى تتفرع عنها كلمة « قليل » . وانها فى الحياة تأخذ دورا نضاليا قويا ، ولها ضحايا كثيرون . وانه لمن المفيد ان انقل للقارىء هذه الفقرة من مقال السيد الاستاذ ساطع الحصرى . « ان معاجمنا لم تعترف بحق الاستقلال حتى لكلمة « الاستقلال » نفسها ، فهى لا تزال تعتبرها تابعة « قل » فتحتم عليها السكنى فى مسكن القلة والقليل .

نعم ان كلمة الاستقلال التى تثير فى النفوس ما تثيره من العواطف الجياشة على الدوام ، والتى تتكرر فى القصائد الوطنية والاناشيد المدرسية كل يوم مئات ، بل آلاف المرات ... كلمة الاستقلال التى كان معناها ــ ولا يزال سببا لتضحيات كبيرة فى الجهود والأموال والأنفس ــ كلمة الاستقلال هذه لم تستقل فى معاجمنا الى الآن .

فعلى كل من يود التعرف عليها فى القاموس ان يطرق باب « قل » وان يعرف أنه سيلاقيها بجانب كلمة « القليل » ... انتهى .

اننا من غير شك فى حاجة قوية الى رصيد لقاق عماده هذه الألفاظ التى نستخدمها فى حياتنا المعاصرة ، ونؤسس عليها بنيان نظمنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية . فى حاجة الى هذا الرصيد الذى يكون مكانه دوما معجما لغويا او دائرة معارف سياسية او اقتصادية او اجتماعية .

***

ثم انى اعرف ان الذين كتبوا عن هذه الالفاظ بعيدا عن المعاجم ودواير المعارف لم يلتمسوا المفاهيم من واقعنا الحى وانما عمدوا الى التماسها من كتب ومعاجم ودواير معارف تمثل واقع غيرنا . فهى تمثل واقع المعسكر الغربى تارة ، وواقع المعسكر الشرقى اخرى . اما واقعنا نحن . واقع العالم العربى فى مستواه النضالى والثقافى . واقع الذين يتخذون من هذه الالفاظ شعارا لهم فى معاركهم النضالية الخارجية والداخلية ــ فانه لم يمثل .

لقد شعرت حقا بعجزى عن ارشادها الى المصادر والمراجع التى يمكن أن تفيد فى هذا المقام فى الكشف عن حقيقة هذه الشعارات من واقعنا . وطلبت اليها ان تلتمس ما تريد لا فى المعاجم ، ولا فى دواير المعارف ، ولا فى الكتب ، وانما عند الرجال الاحياء . عند الذين يعملون فى ميادين الثقافة ، وميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع .

وهنا عن لها أن تبدأ بى فقالت : وانت ماريك

فى اسـباب خلل الديمقراطيات فى بلدان العالم العربى ؟

❊ ❊ ❊

واجبت طبعا اجابة عابرة ، قلت فيها ان النظام الديمقراطى قد جاءنا كفكرة غربية ، وحين دخل عندنا تفاعل مع نظام طائفى وطبقى لم يكن قد فقد خصائصه القديمة العالقة به منذ زمن الاتراك والمماليك . وان عضو البرلمان عندنا لم يكن الا السيد القديم الذى اعتقد انه وحده الذى يستطيع ان يجسد الافكار السياسية والمبادىء العامة التى تصور حقوق الانسان فى عصرنا الحديث . وانه من حقه وحده السعى لدى الحكام والوزراء لقضاء مصالح الآخرين . ان على الآخرين ان يظلوا اتباعا لهذا السيد . وان على الحزب السياسى الذى ينتمى اليه ان يفسح له المجال لينتقل من كرسى النيابة الى كرسى الوزارة . ان هذا الانسان لم يكن يمثل الامصالحه الخاصه ومطالبه الخاصه ، وهذا كل ما يدرك من معنى هذا اللفظ ديمقراطية . . .

❊ ❊ ❊

لم يكن هذا السيد يدرك ان الدخول فى عهد الديمقراطية معناه اعادة النظر فى كل الامتيازات القديمه التى ورثها عن الآباء والاجداد . ولم يكن ليدرك ان الارستقراطية الاجتماعية والزعامات الموروثة تتحطم حتما على بلاط الديمقراطية — انه حتى لم يدرك ان لكل امرىء الحق فى القيادة الجماعية ، وان هذا الحق مرتبط بما يتحلى به الشخص من الصفات الخلقية والثقافات الانسانية . بما فيه من قوى وقدرات ، وبما يملك من امكانيات .

❊ ❊ ❊

لقد فاته ان الأزمنة الجديده تتطلب قيادات جديده . قيادات عبر عنها بعض الكتاب المحدثين خير تعبير حين قال : **ان الأزمنة الجديدة تقتضى بطولة ذات بعد جديد . ان الشباب اليوم يصفون حساب الاصنام القديمة المتمركزة فى طمانينتها ، وينصبون مكانها آلهة من وزنهم — وبما أن العهد عهد يقظة الجماهير فان القائد الجديد يكون اجتماعيا او لايكون شيئا .**

❊ ❊ ❊

لقد ادرك ذلك بعض القادة السابقين فراحوا يجددون فى لهجاتهم وازيائهم . هؤلاء هم مشايخ السياسة التواقون الى استعادة مجد غابر عن طريق بقية من رجولة ، ومشية شبه عسكرية. ان فيهم شيئا قديما باليا — شبه انتفاخ مصطنع يفضحهم ويكشف عن كل حياتهم ، ذلك انهم يستخدمون ادوات قديمة لحقائق جديدة .

❊ ❊ ❊

ان القائد الحقيقى فى الديمقراطيات الحديثة ، ليس الا ذلك الانسان الذى يبدأ فيهب ذاته لخدمة مصالح الشعب ، ويأخذ بالتقشف والجد فى العمل لا بالسعى نحو المتعة .

القائد الحق هو الذى يملك الجراة على النظر الى المجتمع بابعاد جديدة لا تقتصر على تغيير بعض الرجال فى الحكم .

القائد الجديد ليس ذلك الذى يهبط على الجمهور من فوق بل الذى يصعد من صفوفه. انه الذى عضه الجوع والذل . انه الذى لا يزال يشعر بالالم القديم لكى تظل نقمته حاملة نقمة الجميع. انه الذى تهدف قيادته الى تامين العمل للجميع ، والى ارجاع الكرامة الانسانية لكل فرد . انه الذى يؤمن العدالة . انه الذى يؤمن حقا بان روح كل ديمقراطية ليست الا فى المساواة فى الحظ امام الحياه ، والا فى هذا التوازن بين الامكانيات الذى يؤلف جوهر كل عدالة .

❊ ❊ ❊

وعند ذلك كان زمن الدوام فى العمل قد جاوز حدوده وقمنا لننصرف فاذا بها تقول : ان لنا لعودة . فان فى بقية الشعارات القومية لمتسعا للحديث ، وان فى هذا الذى نتحدث عنه من ديمقراطيات لبقيه .

قلت انى فى انتظار العودة فان فى مصاحبتك فيما تفكرين فيه من مسائل لخدمة لى ولقومى .

دكتور محمد احمد خلف الله

حماسة البحتري

وأول باحث لها في أوربا

للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي

ترجمة : محمد منير مرسي

لعل اتجاه الادباء العرب نحو الترتيب والتناظر – ولو انه صناعي – لم يعبر عن نفسه بتلك الصورة التي هو عليها في ترتيب شعراء العصر العباسي . فابو نواس يوضع مقابلا لأبي العتاهية واحيانا يوضع الى جانب بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس . ويزداد الامر صعوبة بالنسبة لمن يوازي ابن المعتز الامير الشاعر ذي التصانيف الرائعة حتى وسط المشتغلين بالغناء والطرب في ذلك العصر الجميل . الا انه الى جانب امير الشعر يذكر امرؤ القيس الملك الضليل . يضاف الى هذا ان ابن المعتز حسب راى مسلم بن الوليد يعد متمم ذلك الاتجاه الذي بدأه امرؤ القيس . ولكن الشائع المعروف أن يقارن ابو تمام بالبحتري تلميذه وخصمه وهو ما ادى الى وجود مؤلفات باكملها من بينها الموازنة الممتعة للآمدي . ومع أن مؤلف الموازنة يعرض لتحليل وجهات النظر بطريقة تكاد ان تكون صحيحة ومنصفة ، ومع انه تحرج من التعميم ومن صياغة نتائجه النهائية وخلاصة رايه الا ان هذا العمل للآمدي ممتع من ناحية انه الوحيد من نوعه والفريد في بابه بصرف النظر بالطبع عن المقتطفات العديدة التي كتبت من السرقات الشعرية لهذا الشاعر او ذاك . واخيرا اضيف المتنبي الى هذين الشاعرين . وقد اشار ابن الاثير وهي اشارة لها اساسها الى انه يمكن الاقتصار على هؤلاء الثلاثة في اعطاء صورة واضحة لكل ما جاء من الشعر بعد ذلك فثلاثتهم على حد تعبيره هم اللاة والعزى ومناة للشعر .

على أن الموازنة بين ابي تمام والبحتري كان من الممكن أن يوجد لها اساس اكبر لو ان النقاد العرب تنبهوا الى ديوان الحماسة الذي كتب فيما بعد في صورة تقليدية لحماسة ابي تمام . ولم يكن هذا الديوان معروفا حتى في الفترات القديمة الا باسمه وعنوانه وفيما بعد صار منسيا لدرجة ان الأديب الكبير عبد القادر البغدادي في القرن السابع عشر صاحب خزانة الادب والذي حفظت اقتباساته كثيرا من الآثار القديمة قد عبر بصراحة عن تشككه في نفس وجود ديوان حماسة للبحتري . ولكن من حسن الحظ انه في نفس العصر الذي كتب فيه عبد القادر هذا الكلام احضر « وارنر » من القسطنطينية النسخة الوحيدة التي كانت معروفة حتى تلك اللحظة . وفي ١٩١٢ اصبح في امكان المستعربين الحصول على صورتين من هذه النسخة في وقت واحد . احداهما في صورة فوتوغرافية من الاصل اعدت على نفقة «دي جويه» والثانية في طبعة منقحة لليسوعيين البيروتيين انتظر خروجها منذ العقد التاسع من القرن الماضي .

ولقد حصلت حماسة البحتري في الكتب العلمية الاوربية على صيت اكبر مما هي عليه في الكتب العربية بصرف النظر عن أن ما كان موجودا منها هو مخطوط وحيد .

***

وفي القرن الثامن عشر درس « ريسكه » العظيم هذا المخطوط . ولم تذهب آثاره سدى على الرغم من عدم التفات كلا الناشرين اليها . وكان «نلدكه» قد اشار لأول مرة في احد اعماله المبكرة الى اهمية هذا المخطوط ، واخذ «جولد تزهير» منه اكثر المواد قيمة من اجل بحثه ودراسته عن صالح ابن عبد القدوس . ولكن ما حجب هذا المخطوط هو عدم شهرته في الادب العربي . واخيرا قام «جير» بنشر مقتطفات للنابغة وطرفة وامرىء القيس وزهير لم تكن معروفة في مصادر اخرى . ووضع قائمة بالشعراء الذين اشير اليهم هناك .

وفي أوائل العقد التاسع من القرن الماضي قام الاستاذ البيروتي « شيخو » بكتابة صورة كاملة من المخطوط في فترة وجوده في ليدن لكن كانت هناك اعمال أخرى لم تمكنه من نشر المخطوط . ولم يعلم من هذا سوى قراء « المشرق » في بعض اشارات قليلة .

ويتقارب العلماء الاوروبيون في تقويمهم للاهمية الفنية والأدبية لحماسة البحتري فهم يضعونها في مرتبة اقل بدرجة كبيرة عن مثيلتها التي جمعها ابو تمام .

***

وبصرف النظر عن كل هذا فانه اذا كان

لأبي تمام شــهرة كبــيرة خلفهــا وراءه في المشرق فتفسير هذا هو عبوديته للصور القديمة الزائفة الموروثة التي وجدت صدى حتى وسط اولئك القراء من العلماء ذوى السمعة والشهرة . ولم يكن ذلك راجعا الى نقص لدى البحترى في الاستعداد او في الموهبة الشعرية . فالبحترى اكثر موهبة من ابي تمام وانما يكمن الذنب والخطأ في اختيار المواد . لقد اراد البحترى ان يضــع مؤلفــا يحجب بقوة مؤلف ابي تمام واراد ان تكون مواده من نفس مواد ابي تمام بل ومن نفس العصر . ولم يفكر البحترى في عمل اى شيء جــديد اصيل حتى في تقسـيمه للمواد . فبدلا من تسعة فصول كبيرة وزع منتخبات اسفاره على ١٧٤ فصلا . وكانت النتيجة وجود فصــول بعضها صغير جدا وبعضها يتناول اشياء بســيطة جدا . وكان من الضرورى الحصول على موضوعات لم يتطرق اليها ابو تمام وتحت ضغط الضرورة حدد البحترى نفســه بالادب الذى تناوله ابو تمام بدرجة اقل نسبيا وهو ادب التعاليم الاخلاقية والمعيشية وتعاليم السير وهو مجال محدود ومتشابه النماذج وكان من الضرورى ايضا الحصــول على شعراء لم يدخلهــم ابو تمام في حماســته ولكن من نفس تلك الفترة فكان الشعراء الذين ادخلهم البحترى قليلى الشهرة والموهبة مع استثناء قليل . وفي هذه الناحية كان اكثر تعقلا وادراكا ، من مؤلف اخــر لاحــدى منتخبات الحماسة التى وصلت الينا واعنى به عليا البصرى المتوفى سنة ١٢٦١ م صاحب « الحماســة البصرية » التى تتناول بروعة اتجاها جديدا وفترة جديدة من الشعر العــربى ومن الســهل اعتبارها مماثلة لحماسة ابي تمام . ولقد ضيق البحترى على نفســه فنيا بالاطارات المحددة التى وضعها لنفســه ولكن مع موهبته الشعرية التى لا شك فيها استطاع ان يضع مؤلفا كتب عليه القدر ان يكون نسـيا منسـيا لدى بنى جلدته وعشيرته .

وهذه الاطارات المحددة هي التى تفسر مضمون حماسة البحترى فمنتخبات ابي تمام امكنها أن تقترب من هذه التسمية لان جزءا كبيرا من موادها يندرج مباشرة تحت مفهوم الحماسة اما لدى البحترى فان منتخباته يبتعد مضمونها احيانا عن مفهوم الحماسة . بل واحيانا ما يأتى على العكس او التضاد منه . فما يستحق هذه التسمية من ١٧٤ فصلا في حماسة البحترى هو السبعة وعشرون فصلا الاولى مع شيء من التجاوز . والفصل السابع والعشرون هو بمثابة الحزام الختامى للجــزء الاول وهــو يتناول مذمة الحرب والدعوة الى السلام ويبدو ان هذا الجــزء هو المدخل الى الجزء التالى حتى الفصل ١٧٠ تقريبا وهو يتعلق بالتعاليم والسير في صورة تلك التأملات الانسانية التى كانت منتشرة في المجتمع العربى . وبصرف النظر عن تشابه نماذجها واشكالها فان هذا الجزء يعطى بدون شك كثيرا من المواد لمن يأخذ على عاتقه عملا ليس بالجذاب جدا عن دراسة وتتبع هذه التعاليم من وجهة نظر تطور الاخلاق العربية .

ولما كانت حماسة البحترى لم تحقق من الانتشار ما حققته منتخبات ابي تمام بل ولا يوجد لها اى تعليق او شرح فان مايترتب على ذلك هو ان التعامل مع حماسة البــحترى يقتصر على نص واحد في مخطوط واحد .

واذا كان لويس شيخو قد اســتخدم كثيرا من المصادر لتنقيح النص الا انه يتضح من طبعته وجود بعض التسرع الذى تحتــاج اليه المســئوليات والالتزامات العديدة لهذا الاستاذ البيروتى الكبير . ويتمثل هــذا التسرع في وجود بعض الاخطاء في الاوزان الشعرية ووجود كلمات مخلة بالوزن الشعرى ووجود اخطاء في التشكيل .

وحقيقة انجزءا كبيرا من هذه الالتباسات الصغيرة قد صححها شيخو فيما بعــد بمقارنة المخطوط مع الصورة الفوتوغرافية لكن من سيعمل مستقبلا على الحماسة سيجد هناك بالطبع مادة ليست بالقليلة تحتاج الى تصحيح .

على أن الاشعار المناظرة والتى تعطى احيانا القراءة الصحيحة الوحيدة لاشعار الهذليين توجد في ديوان اشعار القبيلة ولسبب ما لم يستخدمهــا شيخو في طبعته مطلقا . واغرب من هذا انه في بعض اماكن المخطوط توجد بمنتهى الوضوح ملاحظات باللاتينية: «انظر ديوان الهذليين» ولم يوجه اهتمامه اليها كل من الناشر البيروتى ومحرر طبعة ليدن . وعلى حسب افتراضنا فان هــــذه الملاحظات لا ترجع لاحد غير « ريسكة » الفــذ صريع الادب العربي والذى يقف ابدا رائعا فيعلوه الشاهق الذى لا يدانى بين جميع المستعربين وكل المتخصصين في الدراسات الهلينية في القرن الثامن عشر .

لقد عمــل ريسكة على مخطوط « الحماسة » في

فترة الثماني سنوات التي عاشهـــا في ليدن عندما وصل اليها سنة ١٧٣٨ وله من العمر اثنان وعشرون عاما • وهناك كان معدما تمـــاما فاشتغل بالطب كوسيلة للعيش وكرس كل وقته ، ليشبع جوعه من الاطباق الدسمة في مخطوطات « وارنر » • فنقل لنفسه آنذاك نسخة من كتاب ابن قتيبة وابن أبي اصيبعة وحمزة الاصفهاني وتاريخ أبي الفدا واشعار ابن دريد وحماسة أبي تمـــام والمعلقات مع شرح التبريزي وديوان الهذليين وديوان المتنبي مع شرح الواحدي وحماسة البحتري واشـياء أخرى كثيرة • ومن بين كل هذه المواد كان « ريسكة » يقدر بصفة خاصة « نسخة الحماسة » • ولكن بعد عدة سنوات ضاعت النسخة وهي في طريقها الى ليبزج ولم ترسل مع المواد الاخرى التي أرسلت من هولندا • وقلق « ريسكة » جدا وكتب مرتين في ســنة ١٧٤٨ الى صديقه الامستردامي الدكتور برنارد الذي كان يعمل معه في ليدن سائلا اياه أن يبحث عنهـــا • ووجد المخطوط • وبعد موت « ريسكة » انتقل المخطوط ومعه المواد الأخرى الى ليسـينج » • وفيما بعـد ســـنة ١٧٧٩ اهدى ليسينج المخطوط الى عـــالم دانيماركي هو « فون سوم » ولعله انتقل من عنده الى كوبنهاجن مع كل تراث « ريسكة » حيث يوجد هناك حتى الآن •

وان وجود هذه الصورة من المخطوط يحملنا على الافتراض بان الملاحظات اللاتينية على المخطوط والجزء الكبير من التصحيحات العربية كتبت بيد واحدة هي يد « ريسكة » بالذات اذ لا توجد أي معلومات عن علماء آخرين من القرن الثامن عشر يمكن أن يكونوا قد درسوا المخطوط • ومن ناحية أخرى فان جدارة واصالة هذه الملاحظات تشهد بان كاتبها لا يمكن أن يكون سوى أول مستعرب في القرن الثامن عشر ذي قراءات واسعة جدا تتعدى حدود عصره • وبالنسبة للصور الشعرية المناظرة الموجودة في الملاحظات فان الناشر البيروتي قد أخذها على أنهـا تصحيحات قام بها نســاخ شرقي دون أن يلاحظ أن الخط العربي الذي كتبت به يحمـــل طابعـــا أوروبيا • وهذه الملاحظات أحيانا ما تكون تصحيحات ناجحة جدا أو صورا مناظرة من مصادر أخرى مغايرة اشير اليها في الاقتباسات اللاتينية • وكل هذا يمكن الآن مراجعته والتحقق منه بفضل ما يوجد لدينـــا من طبعات المخطوط • وكثيرا ما كان صدق هذه الملاحظات باعثا على الاندهاش والغرابة • ويكفي أن نتذكر أنه في زمن « ريسكة » لم تكن هناك لا طبعة حماسة أبي تمام ولا طبعة ديوان الهذليين ولا طبعة المعلقـــات وعندئذ ننحني مرة أخرى امام ذكراه الرائعة • لقد استطاع ريسكة أن يشـــق طريقه وســـط الف وخمسمائة قطعة مجموعةفي ديوان حماسة البحتري• والآن عندما نتصفح الطبعة المنقحة الوحيدة حتى هذه اللحظة لتاريخ أبي الفدا وعنـــدما نتذكر أن هذه الطبعة رأت النور بعد موت ذلك العـــالم الذي ألقى الضوء عليها باذلا كثيرا من الجهد فانه يمكن أن نفهم حقيقة ذلك الشعور الحزين والتهكم المرير فيما كتبه ريسكة قبل اربعة اعوام من موته • لقد كتب يقول وهو متوجه الى ليدن : « لقد أصابني الضر والسوء • كان على ان ادفع ثمن حماقتي غاليا بل وغاليا جدا . لقد أصبحت صريع الادب العربي • ان ظمأى الملتهب الى هذا الادب لم يجلب لي الا التعاسة لا لشيء سوى أنه أصابني في وقت جد مبكر ، في وقت لم يكن أحد يحتاج اليه بل ولم يكن هنـــاك من يقدره او يكافيء عليه • يا ليت ظمأى هذا يجد لنفسه طريقا في روح تستطيع في وقت ما أن تحيا أوقاتا اكثر سعادة • ولعل هذه الاوقات تهل في زمن ما ـ وان كان ليس هناك أمل ـ عندما يصبح الادب العربي مقدرا وينال من الدراسة اهتماما أكثر مما هو عليه الآن » •

* * *

وها هو قد جاء هـــذا الزمن الذي حلم به وهو يائس ذلك العالم المعذب في القرن الثـامن عشر • وخطا العـــلم الى الامام وقد لا يرضينا نحن الآن ما استطاع أن يفعله ريسكة في زمنه ونحن أنفسنا لا نقنع بما أحرزناه من نتائج وفي هـــذا يكمن سر ديمومة العلم وخلوده •

وان شيخو لعلى حق فيما أشار اليه في ختـــام طبعته من أن نشر طبعة مضبوطة دقيقة لحمـــاسة البحتري يتطلب كثيرا من الوقت والجهد • وعندما تظهر مثـــل هذه الطبعة سنتذكر بامتنان وعرفان للجميل « شيخو » أول ناشر لها لكن يجب أيضـــا الا ننسى « ريسكة » صريع الادب العربي وأول باحث لها في أوربا •

ترجمة : محمد منير مرسي

الحركات الثورية والفرق الدينية

للدكتور أحمد الخشاب

جرت عادة الغالبية العظمى من مؤرخي الفكر الاخلاقي، والمعنيين بالجانب الديني والعقائدي، على معالجة بعض التنظيمات الثورية على أنها فرق دينية وان كانوا ينعتونها بالغلو أحيانا وبالزندقة والمروق أحيانا أخرى ، ولم يدر بخلدهم محاولة جادة لابراز ما كانت تستند اليه تلك التنظيمات من أسس اقتصادية واجتماعية على أساس أنها كانت تتزيا بالزى الديني تمشيا مع النسق الاجتماعي الذى كاد يميز كل المناشط الحيوية في تلك الآونة .

وأغلب الحركات الثورية في الدولة الاسلامية كانت في البلاد الفارسية ، وقد أرجعها المؤرخون الى الشعوبية والعناصر الغنوصية الدخيلة على الديانة والفلسفة والفكرية العقائدية ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر في هذا المجال ، الحركة الخرمية التي كانت عام ١٣٧هـ/٧٥٥م ، التي أطلق على القائمين بها اسم المسلمية لانهم اتخذوا من مقتل أبي مسلم الخراساني ذريعة للقيام بثورتهم العارمة ونادوا من الناحية العقائدية بفكرة عودة الامام ليحل العدل في العالم محل الظلم والجور والاستبداد ويهمنا من وجهة النظر الاجتماعية أن نتعرف على الأسس الاقتصادية التي قامت عليها تلك الحركة لانها في نظرنا لم تكن مجرد فرقة دينية من المنحرفين او من الغلاة والزنادقة ففي تقديرنا ان ارجاع المؤرخين هذه الحركة الى الحركة المزدكية يرجع من وجهة النظر التحليلية الى التقاء الحركتين في أسس الثورة الاجتماعية رغم أن المزدكية حركة وثنية غير اسلامية والخرمية حركة شيعية من حيث نزعتها السياسية واعتقاداتها المذهبية . وكل من الحركتين اشتراكية تحررية متطرفة ، فالثابت من كتب التاريخ أن المزدكية نسخت الملكية الفردية ، ملكية الاراضي وملكية العبيد والجواري ، ومما يؤثر عن مزدك أنه كان يقول ان خالق الكون قسم الاشياء بين الناس بالقسط فلم يعط أحدا أكثر من غيره .

وهذه الآراء المتطرفة التي نادى بها الزنج وعلوج الارض في ثورتهم العارمة ضد أسيادهم من الاقطاعيين ، أخذت في الازدهار حتى بعد القضاء على ثورتهم الاجتماعية ضد الطغيان وتحكم الاقطاع ، فظهرت هذه الآراء بعينها على ألسنة القائمين بالحركة المعروفة باسم الحركة البابكية التي نشأت في ايران على يد بابك ابتداء من عام ٢٠١هـ/٨١٦م وثبتت أمام الحكم العباسي الاقطاعي ما ينوف على عشرين عاما ، وكادت تدعم أركان جمهورية اشتراكية في جبال قراطة الايرانية ، لولا هزيمة بابك في آخر الامر وصلبه عام ٢٢٣هـ/٨٣٧م .

***

ولقد قامت حول البابكية أساليب تضليلية شوهت حقيقتها واظهرتها على أنها حركة شعوبية جمعت بين العناصر الفارسية والرومية والكردية والارمنية التي اعتنقت الزرادشتية وارتدت عن عقيدتها الاسلامية غير أن هذا الزعم مردود لانه من الثابت أن أقواما كثيرة من العرب انضموا الى تلك الحركة (لمحمد بن يوسف الثغرى وكابى دلف العجلى فضلا عن جماعة كبيرة من أهل الجبال من همذان واصبهان) . ولا شك أن التحليل التاريخي للبناء الاجتماعي للعالم الاسلامي في تلك الفترة يلقى الضوء على أن هذه الحركة كانت في المقام الاول اجتماعية اقتصادية ، فرضتها الحالة السيئة التي انتهت اليها أقوام الزنج وعلوج الارض ، الامر الذى جعلهم يخرجون على سادتهم الاقطاعيين ويؤلفون عصابات للنهب والسلب فقامت الاصوات من كل صوب تتذمر من هذه الحالة المؤسفة وتنادى بالاصلاح الاجتماعي الذى كان ولا بد أن يرتكز على دعامتين أساسيتين . الدعامة الاولى القضاء على السخرة والاقطاعية ، بنزع ملكية الاراضي الواسعة من أصحابها الاقطاعيين وتوزيعها على علوج الارض من المزارعين . والدعامة الثانية هي تحرير المرأة المسلمة مما فرضه عليها النظام الاقطاعي من عبودية واسترجاع حقوقها بجعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات .

***

وآية ذلك أن تلك الحركة لم تكن حركة شعوبية كما أنها لم تكن حركة دينية متطرفة وانما كانت حركة ثورية اجتماعية ترتكز على المبادىء الاشتراكية لتصحيح الاوضاع التي أوجدتها الفوارق الطبقية والتفرقة العنصرية وهي آفات وأمراض اجتماعية لا تقرها الشريعة الاسلامية غير أن ظهور هذه الحركة بالمظهر الديني ومواجهتها بأسلوب ديني والقضاء عليها بالسلاح الديني يبدو أمرا طبيعيا بالنسبة

لمجتمع بنى حياته الاجتماعية والسياسية والفكرية على أساس دينى · فكان يلبس كل مناشطه وحركاته الاجتماعية ثوبا دينيا فتصطبغ متناقضاته بالصبغة الدينية ، وان كانت فى صفاء جوهرها اقتصادية اجتماعية ·

وقد لا نجانب الحقيقة اذا ذهبنا الى القول بأن بعض الحركات الشيعية تستند الى ركائز اقتصادية اجتماعية أكثر منها دعامات مذهبية أو عقائدية دينية أو عرقية شعوبية فاذا كان التشيع فى أول ظهوره يرجع الى اعتبارات سياسية تتصل باسناد الخلافة والامامة الى على أو أحد أبنائه أو أحفاده ·· فان هذه الحركة لم تحافظ على طابعها العربى الاصيل تحت وطأة الضغوط الاجتماعية والاقتصادية المنبثقة من طبيعة البناء الاقطاعى الذى ظهر فى بعض العهود فى المجتمع الاسلامى اذ أنه ابتداء من الحكم الاموى ، اخذت نقمة المسلمين الاعاجم على العنصر العربى تتزايد بتزايد المسافات الاجتماعية ، والتناقضات المصلحية والعنعنات العصبية والعرقية وكثر عدد المتذمرين من مختلف المجموعات الاسلامية بزيادة سوء الاحوال المادية الجماهيرية ، فنشأت جماعات متباينة ومتباعدة ومتفرقة يربطها ويؤلف بين نشاطها نقمتها على ذوى السلطان من الاقطاعيين المستبدين المستغلين والتفت هذه الجماعات حول الفئة المضطهدة أو المغلوبة على امرها المسلوبة حقها فى السلطة السياسية على حسب ادعائها ·

ومعنى ذلك أن الحركات الشيعية لم تكن شعوبية فى أول ظهورها بل انها جمعت العناصر الساخطة على أصحاب السلطة والثروة بعد أن حل التنافر الطبقى محل التنافر العرقى السلالى أو العنصرى وغدت الفرق الشيعية على اختلاف مظاهرها العقائدية المتصلة بالامامة تنطوى على مجموعة من الآراء السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تنادى بالمساواة بين الرجل والمرأة والتى تسعى الى الغاء الملكية الاقطاعية وتوزيعها بالعدل على المشتغلين بفلاحتها والتى تجاهر بمحاربة العصبية القومية ومناهضة الحركات الشعوبية واستنهاض الاتجاهات الانسانية التى ترتكز على المساواة الحقيقية بين جميع الناس على اختلاف أنسابهم وأجناسهم ومللهم ونحلهم ، ولعل ما وجهت به هذه الحركات الثورية المتطرفة من تحديات السلطات المستبدة والحاكمة هو الذى ألزمها الالتجاء الى بعض النظرات العقائدية التى انحرفت بها عن جادة الشريعة الاسلامية ، فمغالاتهم فى فكرة الامام المنتظر هى عود الى فكرة المهدى والمخلص التى درجت الفئات المظلومة الى الالتجاء اليها فى عصور الاستعباد والتعسف · فهى بمثابة تطلع الى قائد أو رائد فى ضمير ووجدان الزمن يقودهم الى الثورة الاجتماعية التى تخلصهم من الطغيان وتحكم الاقطاع فى كنف الحكم الاموى والعباسى · ولعل ما كانوا يعلقون على هذا القائد الذى تطويه بطن التاريخ من آمال جسام هو الذى دفعهم الى المغالاة فى تخيل صفاته وعصمته وقدسيته ··

كما أن أسلوبهم المعروف « بالتقية » الذى ينبنى على المجاهرة والتظاهر بمسايرة الطبقة اتقاء ووقاية من باسهم يعكس « تكتيكا » عمليا يشعر بأنها كانت تحت ضغوط متعددة ورقابة محكمة من جانب السلطة الحاكمة بمعنى انهم نظروا الى التقية كضرورة لانجاح مخططهم الثورى ·

وأخيرا فان التجاءهم الى التنظيمات السرية التى تمثلها منظمات ووحدات اخوان الصفا، يعتبر مجابهة ومواجهة للاحوال الاجتماعية والسياسية التى أحاطت بهم ، وهم يعدون عدتهم لثورتهم الاجتماعية ولسنا نضيف جديدا اذا قررنا بهذا الصدد أن ظهور جمعية اخوان الصفا كانت محاولة جادة من الفرقة الاسماعيلية الشيعية لتحقيق الثورة الاجتماعية عن طريق الثورة الثقافية وقلب النظام العقلى الذى كان مسيطرا على المسلمين فى ذلك الحين ·

وحمادى القول أن كثيرا من الفرق الكلامية والدينية لم تكن مجرد مذاهب وملل ونحل عقائدية ، وانما كانت حركات ثورية تدين بأفكار اشتراكية وتعمل جاهدة على تطبيقها وكانت تواجهها وتجابهها القوى صاحبة السلطة بمختلف الاساليب التى تكفل لها الغلبة عليها · وغنى عن البيان أن اشهار سلاح الزندقة والمروق عن الدين كان فى مقدمة ما وجه الى هذه الحركات الثورية ، الأمر الذى يفسر اظهارها بمظهر الانحراف والغلو والتطرف ·

الدكتور أحمد الخشاب

● الرسالة

فى هذا المقال نظر ، فبعض الفرق الدينية التى اشار اليها الكاتب كان يمثل الاباحية المطلقة والانحلال الخلقى ، لا سيما المزدكية ، فان مزدك أباح النساء والأموال ، وجعل الناس شركة فيهما — كما يقول — الشهرستانى ، وصار الناس كما يقول — الطبرى — لا يعرف الرجل منهم ولده ولا المولود أباه ·

أوقفوا الحواجز المصنوعة بين المادة والروح

للأستاذ شحاته عبد الرحمن شوقي

لماذا ينفصل الذين هم هنا عن الذين هم هناك ؟٠

ومن هم الذين هم هنا ومن هم الذين هم هناك ؟٠

لقد دفعني الى الكتابة في هذا الموضوع ما جاء في التوازن الاجتماعي للدكتور احمد زكي (الرسالة ١٠٢٤) عندما قال : اذا كان بعض المتفلسفين قد اختاروا أحد مظهرى حياتنا مقيمين حواجز بين المادية والروحية فان التجربة اثبتت عقم ذلك الاختيار ٠

أنا مع الدكتور فيما يقول ومستجيب أيضا لنداء — اميل بريبه — قبل أن يموت بضرورة التوازن بين العلم والحياة الروحية ٠ نعم أنا معهما ٠٠٠ مع الدكتور ومع الفيلسوف فهناك حقيقة تقول من يغلق عقله وضميره دون الحق يضير عقله وضميره ولا يضير الحق وقديما قال سقراط : ان الحياة لا تستحق الاعتبار اذا لم نقومها بالحوار والمناقشة ٠

ترى ما هى الحياة ؟٠ واذا عرفناها فهل نستطيع أن نرسم لها منهجا ؟ واذا كانت الحياة مزيجا من المادة والروح فما هى المادة وما هى الروح وما الفرق بينهما ؟٠

وقبل أن نعرف الحياة نعود نناقش المادة والروح فعن طريقهما نعرف معنى الحياة ٠

ما هى المادة ؟٠ وتعريف المادة في متناول كل منا لاننا نلمسها وندركها ٠ هى القلم الذى نكتب به وهى الكتاب الذى نقرا فيه هى الطعام الذى نتناوله وهى اللباس الذى نرتديه ٠ نستطيع أن نراها فى كل شىء فى الارض وفى السماء فى الصخرة الصماء وتحت جوف الماء ٠ فى الانسان والحيوان والنبات والجماد٠ ولقد تتبعنا المادة فعرفنا عنها الكثيروجهلنا عنها الكثير ، والذرة وحدة المادة وهى عالم قائم بذاته ٠ هذه هى المادة ولكن ما المقصود بالروح ٠٠؟

هل هى قصر مسحور تشرف النوافذ فيه على عالم الغيب ٠

ثم لماذا ينفصل الذين هم هناك عن الذين هم هنا ؟ ومن هم الذين هناك ومن هم الذين هنا ؟ لنتفق معا على ان الذين هم هناك هم الروحانيون والذين هم هنا هم الماديون ومن هنا ومن هناك من المادة والروح تكون الحياة ٠

كيف نلتمس الطريق اذا الى هناك ؟ الى القصر المسحور الذى تشرف النوافذ فيه على عالم الغيب ٠ عالم الروح ٠

هل نلتمسه عند هؤلاء الذين يعزفون عن الدنيا وما فيها من مباهج ؟ وبمعنى آخر هل الروح رهينة فى صومعة الايمان ؟

لنتخط حدود الزمان والمكان ٠٠٠ ماذا قلت سيدى يا رسول الله ؟ ماذا قلت فى الذين تركوا مباهج الدنيا ودفعهم الشك فأقبلوا عندك يلتمسون اليقين ؟ ٠

قال أحدهم : أما انا فانى أصلى الليل أبدا ، ولا انام منه شيئا ٠ وقال آخر : انا أصوم الدهر ، ولا افطر أبدا ٠ وقال ثالث : وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدا ٠٠٠

ويسرع العقل الكبير الذى استوعب الحياة والقلب الحانى الذى فهم الرحمة والحب يسرع الرسول البشر ليبدد ظلام الشك بنور اليقين فيقول عليه السلام : أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا أماوالله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى اصوم وافطر وأصلى وارقد فمن رغب عن سنتى ، فليس منى ٠

اذا ليست الروح رهينة فى صومعة الايمان فلو فرضنا أن الايمان يرتبط بالروح ، والطعام والزواج يرتبطان بالمادة فلقد ضرب الرسول اعظم مثل للتوازن بين المادة والروح عندما قال أصوم وافطر وأصلى وأرقد٠ وفوق ذلك فهو يخرج الذين يهتمون بالروح فقط يخرجهم من الجماعة حيث قال فمن رغب عن سنتى فليس منى ٠

***

نعم لقد بعدنا عن الروح عندما فصلناها عن المادة وجعلنا المادة تسير فى طريق يناقض طريق الروح٠

فهناك من اهتم بالمادة وأسرف فى هذا الاهتمام حتى لم يعد يضع للروح أى قيمة تذكر مثل الفيلسوف الانجليزى هوبز صاحب الفلسفة المادية

الشاملة وقد تصور العالم وما فيه من أحداث ، على انه مادة متحركة ، فوجود المادة وتحرك أجزائها فى المكان ، هو كل ما يلزم فى نظره كل شىء فى العالم ·

وهناك من يهتم بالروح ويسرف أيضا فى هذا الاهتمام حتى لم يعد يضع للمادة أى قيمة تذكر وبذلك تفقد الحياة وما فيها من حضارة ومدنية فى نظره كل قيمة ·

هناك من رجح جانب الروح عن المادة وهناك من رجح جانب المادة عن الروح وكل ذلك باعد بيننا وبين الحقيقة · وشوه المادة وشوه الروح ··· شوه المادة لأنه ربطها بالمعدة والجنس وهذه مطالب الحيوان وشوه الروح لانه ربطها بالشطحات الوجدانية والغيبات الروحانية · وخسر الذى أسرف فى المجون وخسر الذى أسرف فى الزهد خسر الذى أقبل على الدنيا وخسر الذى أدبر عنها · فأين الحقيقة اذا ؟

***

نعود مرة ثانية ونتساءل عن الروح · هل هى مجموعة من المثاليات والمعنويات ابتلى بها الشرق ؟ هل توجد فىمجون أبى نواس أم فى زهد أبىالعلاء؟ هل هى النفس الفاضلة المشرقة ؟ قد يكون كل ذلك فى الروح وقد يكون كل ذلك فى المادة · ثم لماذا نربط الروح بالقيم الانسانية والمثل العليا من حب وثقة وعدل ونربط المادة بدون ذلك · نربطها بالكره والبغض والحقد والضغينة · ؟ عندما نذكر الروح نتذكر أجنحة الملائكة وعندمانذكر المادة نتذكر قرون الشياطين ·· ذلك كله لأننا فصلنا علمية التفكير عن روحانية التبصر ووضعنا الحواجز بين المادة والروح فلم تتضح لنا صورة الحياة الكاملة · وانا لا أنكر وجود الروح ولكنى انكر فصلها عن المادة وقديما قال ديكارت (أنا أفكر اذا فأنا موجود) بهذه النظرية رفع ديكارت شأن العقل وانتهى عن طريقه إلى تأكيد وجود الله وخلود الروح وتميزها عن المادة ·

***

لقد افسدنا الروح والمادة عندما أقمنا حربا مزعومة بينهما واتحنا الفرصة للجهلاء والمشعوذين الذين يؤسرون فى نفوس الضعفاء باسم الروح وباسم الدين ·· لا زالت طبول الزار تدق فى قرانا فتستسلم النفس المريضة لكل ضعة وكل رذيلة ·

أما هؤلاء الذين يعتمدون على الروح فى اصلاح واقعنا دون المادة هؤلاء يقول لهم الواقع لن تصلوا وقفوا مكانكم وكذلك الذين يعتمدون على المادة فى اصلاح واقعنا دون الروح وهذا يعتبر فرقا واضحا جليا بين اشتراكيتنا العربية وبين الاشتراكيات الاخرى فلقد اعتمد كارل ماركس على المادة فقط ولم يستطع انجيله الأرضى المزعوم (رأس المال) ولم يستطع أن يحقق العدل والمساواة على هذه الأرض وذلك لان كارل ماركس وضع فى حسابه المادة واغفل الروح ونظر الى الارض وعمى عن السماء · هذا هو سر الوهن الذى تسرب الى ماهتف به ماركس او انجلز او سان سيمون وغيرهم ·

أما اشتراكيتنا العربية فهى اشتراكية ناجحة وذلك لانها لم ترجح جانب المادة على الروح بل وضعت فى اعتبارها التوازن بين المادة والروح فقضت على النزعة المادية التى ترصد للحياة فى قوانين جافة جامدة والتى تهمل النشاط الروحى وهو له دخل كبير فى تكييف وضعنا الانسانى · وثمة سبب آخر من أجله أصبحت اشتراكيتنا مرتبطة بنا وليست مستوردة من الخارج ذلك هو أن كل النظرية الاشتراكية كتبت ثم بعد ذلك اخذت طريق التطبيق أما اشتراكيتنا فقد طبقت قبل أن تكتب وبذلك ضمنت لنفسها النجاح · وواضح أيضا أننا ونحن نطبق اشتراكيتنا نسير بخطى ثابتة على الارض المعبدة وننظر الى السماء فى اجلال وتقدير ·

وخلاصة القول أن هناك روابط وثيقة بين المادة والروح · اننا عندما فصلنا المادة عن الروح تعثرنا فى طريق وصولنا الى الحياة الكاملة المنشودة وجهلنا الكثير عن المادة ولم نعرف أى شىء عن الروح سوى صدى الهواتف الداخلية فى أعماقنا وتخيلنا أن الروح تبحث لى المثل من حب وصدق وعدل وغير ذلك ·

ولما أردنا أن نفتش عن الحب فى المادة قلنا : ان ذلك بعيد لان الحب من مقومات الروح فهل هذا صحيح ؟· يقول العلم : الذرة هى وحدة المادة وهى عالم واسع ومنذ أكثر من خمسين عاما اكتشف ارنست رادزفورد العالم النيوزلندى أن جميع الاجسام التى تتألف منها ذرات اى معدن تتجمع فى شكل كتلة صغيرة وسط كل ذرة سماها النواة تحيطها هالة من جسيمات تحمل شحنات سالبة أطلق عليها الالكترونات وفى مرحلة أخرى اكتشف العلماء أن النواة تتكون من نوعين من الجسيمات

ناظم حكمت
شاعر الحرية والمنفى
للأستاذ علي كامل

في عام ١٩٥٠ قامت حملة من كبار كتاب العالم وشعرائه لاطلاق سراح الشاعر التركي ناظم حكمت من غياهب سجنه في الاناضول بعد أن تسربت الانباء عن سوء حالته الصحية واضرابه عن تناول الطعام مرتين . ونجحت الحملة اذ لم تقو السلطات التركية على مقاومة نداء الفكر فاطلقت قيود الشاعر الذي طالما تغنى ببطولة شعبه ومجد كفاحه في معركة الاستقلال التي حرر بها ارض الوطن من مستعمريه بعد الحرب العالمية الاولى .

وغادر ناظم حكمت سجنه ليهاجر من وطنه الى الأبد . فظل كالطائر الصداح الذي لا وطن له يتنقل بين بلد وآخر الى أن توفي في الشهر الماضي اثر أزمة قلبية وهو في الحادية والستين من عمره . ثلاثة عشر عاما قضاها بعيدا عن وطنه ولكنه لم ينس يوما واحدا الارض التي أنجبته فبقي يذكرها في شعره وكتاباته ، يعتصر قلبه الحنين اليها وتهفو نفسه لرؤياها بعد أن حرم عليه أن تطأها قدماه ، منتظرا اليوم الذي يمتزج جسمه بثراها بعد مماته ، فنسمعه يقول في قصيدته (الوصية) :

يا رفاقي اذا مت قبل ذلك اليوم الموعود
وهو ما يبدو لي غالبا
فادفنوني في الاناضول في جبانة احدى القرى
ويكفيني أن تظللني اذا أمكن احدى اشجار الصبار .

فهي تغنيني عن لوحة من الحجر نقشت عليها بضع عبارات

ولقد تفتقت موهبة ناظم حكمت الشعرية منذ شبابه الاول الذي تفتح على حرب الاستقلال عام ١٩١٩ حيث خاض غمارها وهو في السابعة عشرة من عمره . وكما ان حادثا عرضيا قد يكون نقطة تحول في النفس العبقرية كذلك كانت حرب التحرير التركية التجربة التي حددت لناظم حكمت نزعته الانسانية وتفكيره الاجتماعي . ذلك انه لمس خلال وطيس الصراع في سبيل الحرية دور العمال والفلاحين في المعركة ، أولئك الجنود المجهولين الذين لولا مجهودهم لما تحقق النصر ، فلم يلبث أن مجد في قصائده فضلهم في تحرير وطنهم بل جعلهم أصحاب الفضل الاول بتضحيتهم واستبسالهم وقوة احتمالهم لضروب الحرمان التي تحيط بجيش شعبي يعتمد في موارده من عدة وطعام على مساهمة جموع الشعب وتبرعاته . كذلك مجد روح الايثار والفداء التي غمرت غير المحاربين من المواطنين البعيدين عن

****

اوقفوا الحواجز المصنوعة ـ بقية

بروتونات ونيوترونات ووصل العلم الى أن البروتونات هي مصدر قوة الحب الكامنة من الذرة .

لقدعثرنا على الحب ياسيدي في وحدة المادة فلماذا اذا نضع الحواجز بين المادة والروح وبينهما هذا التجانس وهذا الارتباط .

واذا أردت أن أدخل جديدا على هذا الموضوع فيكون من قبيل الفرض وقد نصل مستقبلا الى برهنة هذه الفروض .

المادة : هي كل ما يشغل حيزا من الفراغ المادي .

الروح : هي كل مايشغل حيزا من الفراغ الروحي في الضمير الانساني .

المادة لا تفنى (قانون بقاء المادة) .

الروح لا تفنى (قانون بقاء الروح) .

الحواس الخمس نوافذ المادة وهناك حواس قد ترتبط بهذه الحواس وتعتبر منافذ للروح منها حاسة الالهام والتنبؤ .. وفي مقال آخر قد نذكر كل الفروض فقد تعيننا على الحقائق وتفتح الطريق لرأي أصوب مازال في القصر المسحور في عالم الغيب .

***

وأختم سطوري هذه بالربط بين المادة والروح فأقول : ان المعدة الممتلئة هي أساس الروح الصافية وان الجسم القوي السليم ينم عن روح قوية سليمة اننا نستخدم الروح في خدمة المادة فعندما ننادي بتقريب الطبقات نفتح المجال للروح لتخدم معنا في هذا المجال .

والى مقال آخر نشرح فيه الفروض ومنهج الحياة على ضوء هذه الفروض .

شحاته عبد الرحمن شوقي

جبهة القتال الذين وهبوا كل ما يملكون رغم عوزهم لمعاونة جيش التحرير فى مهمته المقدسة وكفاحه المستميت أمام القوتين المتحالفتين ضده ... قوة المستعمر الغاصب وقوة السلطات الرسمية الموالية له .

ولم ينس ناظم حكمت أيضا دور المرأة التركية فى معركة الاستقلال وهى التى ألقت بحجابها جانبا ونزلت الى ساحة الوغى تعاون الرجال بكل ماتستطيع أداءه من عمل وتستعذب التضحية بزوجها أو فلذة كبدها فى سبيل الهدف الاسمى .

وعندما تحقق النصر ظل ناظم حكمت يكرس فنه للدفاع عن حقوق الكادحين مناديا بان الشعب لا بد أن ينال جزاء تضحيته ووفائه وأنه أحق بالثروة التى تنتجها سواعده . وكان اشتراكه فى الحرب وهو فى السابعة عشرة وتجرعه أهوالها دافعا له الى المناداة بالسلام بين الامم والدعوة ضد الحرب التى لا يصلى سعيرها الا الابرياء الذين يذهبون هشيما لاهواء رجال السياسة .

بهذه الروح الانسانية الرفيعة كتب ناظم حكمت (المدينة التى فقدت صوتها) و (لماذا قتل بينيردجى نفسه) و (محادثة الليل التليفونية) و (خطابات لزوجتى) و (بطولة الشيخ بدرالدين) وغيرها .

غير أن كتابات ناظم حكمت لم تكن لتروق للسلطات الحاكمة فى تركيا خصوصا بعد أن أحست بصداها فى قلوب أبناء الشعب التركى فمنعت تداولها . ولم يقف الامر عند ذلك بل حوكم ناظم حكمت عام ١٩٣٨ وحكم عليه بالسجن ثمانية وعشرين عاما .

وداخل أسوار سجنه استمر ناظم حكمت فى اداء رسالته فكتب (بطولة حرب الاستقلال) و (صور انسانية) والاخيرة تقع فى ستين ألف بيت من الشعر .

وعندما أطلق سراحه عام ١٩٥٠ بعد الحملة التى قام بها رجال الفكر فى جميع أنحاء العالم وخرج من سجنه مباشرة الى المنفى ظل يجوب مختلف البلاد مساهما فى كل مؤتمر يدعو الى السلام والعدالة الاجتماعية ، مكرسا قلمه للترنم بحبه لوطنه والحنين اليه والرثاء لما يعانيه من فقر وحرمان . وكان يصب أحاسيسه الجياشة بالعواطف الملتهبة فى شعر يفيض بالألم والمرارة وان كان يظفر بالامل الباسم فى (الحياة الرحبة) فى مستقبل الايام .

وقبل موته ببضعة شهور كتب ناظم حكمت فى سبتمبر سنة ١٩٦١ يقول فى ترجمة حياته :

هناك اناس يعرفون أنواع السمك المختلفة وأنا أعرف أنواع الفراق والحرمان .

هناك اناس يستطيعون أن يذكروا عن ظهر قلب أسماء النجوم وأنا أستطيع أن أذكر أسماء الشوق والحنين .

لقد كنت نزيل السجون والفنادق الكبرى

لقد عرفت الجوع والاضراب عن تناول الطعام كما انه ليس هناك طعام لا أعرف مذاقه .

عندما بلغت ثلاثين عاما أرادوا أن يرسلوا بى الى المشنقة .

وفى سن الثامنة والاربعين منحت الجائزة الدولية للسلام .

عندما كنت فى السادسة والثلاثين عبرت أثناء ستة شهور أربعة امتار مربعة داخل حائط من الاسمنت .

وفى سن الثامنة والخمسين طرت من براج الى هافانا فى ثمانى عشرة ساعة .

لقد رأيت الاوبرا ومعظم الناس لا يستطيعون الذهاب اليها بل يجهلون حتى اسمها .

لقد طبعت مؤلفاتى بثلاثين أو أربعين لغة ولكنها ممنوعة من النشر فى تركيا بلغتى الحبيبة .

وناظم حكمت عندما يعرض المتناقضات الغريبة فى حياته انما يرمز أيضا الى ما فى المجتمع من بعد عن العدل الاجتماعى والمنطق السليم الذى لا يتفق وما بلغته الانسانية من رقى وتطور .

لقد سكت قلب ناظم حكمت قبل أن يتحقق أمله فى العودة الى وطنه وقبل أن تعرف أعماله النور بين أبناء أمته الذين كرس حياته من أجلهم ، كما عرفت بين أبناء الامم الاخرى ، فلا يستطيعون قراءتها الا خلسة بعيدا عن أعين الرقباء .

ومنذ أكثر من مائة عام قال فيكتور هوجو (اذا كان المرء لا يستطيع أن يعيش بغير خبز فكذلك لا يستطيع أن يعيش بغير وطن) فما أصدق هذا القول على ناظم حكمت اذ لم يكن مرض القلب وحده هو الذى افترس قلبه بل كان حنينه المستمر لوطنه حليفا قاتلا للمرض عجل قبل الاوان بنهاية الشاعر الفريد .

على كامل

الحكم بشهادة المرأة

للأستاذ أحمد فتحي بهنسي

الشهادة لغة هي البيان ، أو هي الاخبار القاطع، والقول الصادر عن علم حصل بالمشاهدة .

والشهادة شرعا هي اخبار صدق لاثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء . والاصل ان شهادة المرأة كشهادة الرجل ولكن الله تعالى قال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما ، فتذكر احداهما الاخرى »

فالحكمة التي ذكرها الله تعالى لعدد الاثنتين في الشهادة هي ان المرأة قد تنسى الشهادة فتغفل عنها فتذكرها الاخرى . فأمر باشهاد امرأتين لتوكيد الحفظ . وعلى ذلك خالف العامة ان المرأة تقبل شهادة كالرجل تماما الا أنه يلزم تعدد الاثنتين لحكمة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز صراحة .

وقال ابن تيمية في تعليقه على هذه الآية . « فيه دليل على ان اشهاد امرأتين مكان رجل انما هو لا ذكار احداهما الاخرى اذا ضلت وهذا انما يكون فيما لا يكون فيه الضلال في العادة وهو النسيان وعدم الضبط . فما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضلال في العادة لم تكن فيه على نصف رجل، وما يقبل فيه شهادتهن منفردات انما هو أشياء تراها بعينها او تلمسها بيدها اوتسمعها باذنها من غير توقف على عقل كالولادة والاستهلال والارتضاع والحيض والعيوب التي تحت الثياب ، فان مثل هذا لا ينسى في العادة ولا تحتاج معرفته الى كمال عقل كمعاني الاقوال التي تسمعها من الاقرار بالدين وغيره فان هذه معان معقولة ويطول العهد بها في الجملة.

ومع ذلك فقد اتفق جمهور الفقهاء على أن المرأة لا تقبل شهادتها في الحدود ولا في الدماء روى ابن أبي شيبة عن حفص عن حجاج عن الزهري قال مضت السنة من لدن رسول الله صلى عليه وسلم والخليفتين بعده أنه لا تجوز شهادة النساء في الحدود والدماء .

وقال الشافعي : لا تقبل شهادة النساء مع الرجال الا في الأموال وتوابعها ، لأن الأصل فيها عدم القبول .

ومع هذا الاتفاق فقد ورد في كتب الفقه روايات مختلفة عن قبول شهادة النساء في هذه المسائل .

١ ــ قال عطاء وحماد بن أبي سليمان : تقبل شهادة رجل وامرأتين في الحدود والقصاص كما قال عطاء : لو شهد عندي ثمان نسوة على امرأة بالزنا لرجمتها . كما قال : تجوز شهادة النساء مع الرجال في كل شيء ويجوز على الزنا امرأتان وثلاثة رجال .

٢ ــ وقال سفيان الثوري : تقبل المرأتان مع الرجل في القصاص وفي الطلاق والنكاح وفي كل شيء حاشا الحدود .

٣ ــ وقال طاوس : تجوز شهادة النساء في كل شيء مع الرجال الا الزنا من اجل انه لا ينبغي ان ينظرن الى ذلك .

ومع قول الشافعي بأن الاصل في شهادة النساء عدم القبول فان الحنفية يقررون بأن الاصل في شهادة النساء القبول لوجود مايبنى عليه اهلية الشهادة وهو المشاهدة ، والضبط والأداء . فان كثيرا من النساء يضبطن اكثر من ضبط الرجال لاجتماع خاطرهن اكثر من الرجال لكثرة ما يرد على خاطر الرجال واشتغالهم بأحوال المعيشة . الا أن الغالب فيهن النسيان وان كان بعضهن اضبط من بعض الرجال ، ولكن القواعد توضع للغالب . فللشبهة لا تقبل شهادة المرأة فيما يندرىء بالشبهات . لان شهادتها فيها شبهة البدلية لقيامها مقام شهادة الرجل .

وقد قال البابرتي في هذا الشان :

لانقصان في عقل النساء فيما هو مناط التكليف. وبيان ذلك ان للنفس الانسانية اربع مراتب .

المرتبة الاولى : استعداد العقل ويسمى بالعقل الهيولاني وهو حاصل لجميع افراد الانسان في مبدأ فطرتهم .

المرتبة الثانية : ان تحصل البديهيات باستعمال الحواس في الجزئيات فيتهيأ لاكتساب الفكريات بالفكر ويسمى العقل بالملكة . وهو مناط التكليف

المرتبة الثالثة : ان تحصل النظريات المفروغ عنها متى شاء من غير افتقار الى اكتساب ويسمى العقل بالفعل .

المرتبة الرابعة : هو أن يستحضرها ويلتفت اليها مشاهدة ويسمى العقل المستفاد وليس فيما هو مناط التكليف وهو العقل المسمى بالملكة في النساء نقصان بمشاهدة حالهن في تحصيل البديهيات باستعمال الحواس في الجزئيات وبالتنبيه ان نسيت

فانه لو كان فى ذلك نقصان لكان تكليفهن دون تكليف الرجال فى الاركان وليس كذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم : « هن ناقصات عقل » المراد به العقل بالفعل ولذلك لم يصلحن للولاية والخلافة والامارة

وتقبل عند بعض الأئمة شهادة المراة منفردة فى الامور الآتية

١ ـ الولادة

٢ ـ الاستهلال للحياة

٣ ـ العيوب تحت الثياب كالرتق والقرن والبكارة والبرص

٤ ـ انقضاء العدة

٥ ـ الرضاع « فيه خلاف »
ويستدلون على ذلك بالأدلة الآتية

١ ـ فى الصحيحين عن عقبة بن الحارث : انه تزوج ام يحيى بنت ابى اهاب . فجاءت امة سوداء فقالت : قد ارضعتكما . فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم . فأعرض عنى . قال : فتنحيت ، فذكرت ذلك له قال : فكيف ؟ وقد زعمت ان ارضعتكما »

٢ ـ روى الدار قطنى والبيهقى وغيرهما من حديث ابى عبد الرحمن المدائنى عن الاعمش عن حذيفة « أن النبى صلى الله عليه وسلم اجاز شهادة القابلة »

٣ ـ نص أحمد فى رواية بكر بن محمد عن أبيه على جواز شهادة المراة على مالا يحضره الرجال من اثبات استهلال الصبى ، وفى الحمام يدخله النساء فتكون بينهن جراحات

وقال اسحق بن منصور : قلت لأحمد فى شهادة الاستدلال : تجوز شهادة امراة واحدة فى الحيض والعدره والسقط والحمام ، وكل مالا يطلع عليه الا النساء فقال : تجوز شهادة امراة اذا كانت ثقة كما قال الاثرم : قلت لابى عبد الله : شهادة المراة الواحدة فى الرضاع تجوز ؟ قال : نعم

٤ ـ لانه لابد من ثبوت هذه الاحكام . ولا يمكن للرجال الاطلاع عليها ، وانما يطلع عليها النساء على الانفراد ، فوجب قبول شهادتهن على الانفراد .
ويرى البعض منهم الشافعى انه لا يقبل فى هذا كله اقل من أربع نسوة او رجل وامرأتين ويستدلون على ذلك بادلة منها :

١ ـ سئل احمد عن حديث على رضى الله عنه « انه اجاز شهادة القابلة » عمن هو ؟ فقال : هو شعبة عن جابر الجعفى عن عبد الله بن يحيى عن على . قال مهنا : ورواه الثورى عن جابر .

وقال الشافعى : لو ثبت عن على صرنا اليه ، ولكنه لا يثبت عنه . وتناظر الشافعى ومحمد بن الحسن فى هذه المسالة بحضرة الرشيد . فقال له الشافعى : بأى شىء قضيت بشهادة القابلة وحدها حتى ورثت من خليفة ملك الدنيا مالا عظيما ؟ قال: بعلى بن ابى طالب . قال الشافعى : فقلت : فعلى انما روى عنه رجل مجهول ، يقال له عبد الله بن يحيى . وروى عن عبد الله : جابر الجعفى ، وكان يؤمن بالرجعة .

٢ ـ حدث عبد الرحمن عن سفيان قال : سمعت بديل بن اسلم يحدث : ان عمر بن الخطاب لم يجز شهادة امراة فى الرضاع .

وحدث هاشم عن ابن ابى ليلى وحجاج عن عكرمة ابن خالد : ان عمر بن الخطاب افتى فى امراة شهدت على رجل وامراته انها قد ارضعتهما . فقال : لا حتى يشهد رجلان ، أو رجل وامرأتان .

٣ ـ لا تقبل فى الرضاع شهادة النساء منفردات لأن الحرمة متى ثبتت ترتب عليها زوال ملك النكاح ، وابطال الملك لا يثبت الا بشهادة الرجال . ولانه مما يمكن اطلاع الرجال عليه .

راى ابن القيم

ويوفق ابن قيم الجوزية بين الآراء المختلفة فى قبول شهادة المراة الواحدة فى الرضاع بقوله :

« والذى عندنا فى هذا : اتباع السنة فيما يجب على الزوج عند ورود ذلك فاذا شهدت عنده المراة الواحدة بأنها قد أرضعته وزوجته فقد لزمته الحجة من الله فى اجتنابها ، وتجب عليه مفارقتها . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمستفتى فى ذلك: « دعها عنك » وليس لاحد أن يفتى غيره ، الا انه لم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم حكم بينهما بالتفريق حكما ، مثل ما حكم فى المتلاعنين . ولا امر فيه بالقتل ، كالذى تزوج امراة ابيه . ولكنه غلظ عليه فى الفتيا . فنحن ننتهى الى ما انتهى اليه . فاذا شهدت معها امراة اخرى فكانتا اثنتين ، فهنالك يجب التفريق بينهما فى الحكم وهو عندنا معنى قول عمر « انه لم يجز شهادة المراة الواحدة فى الرضاع » .

احمد فتحى بهنسى

شحاته عبيد في قصصه

للأستاذ عباس خضر

اذا كانت حياة « شحاتة عبيد » قد غامت علينا ، على نحو ما اوضحنا في المقال السابق فاننا نستطيع ان نستشف شيئا منها في كتابته بمجموعته القصصية « درس مؤلم » وهي الكتاب الوحيد الذي نشر له .

الذي يبدو لي – من البيئة والاشخاص الذين يصورهم في قصصه .. أنه من أصل شامي ، فاكثر أولئك الأشخاص سوريون مسيحيون هاجروا الى مصر واقاموا بها ، ويغلب ان تكون زوجته لبنانية ، اذ عادت بعد وفاته الى لبنان .

هذا ولا بد أنه نشأ بمصر ، ان لم يكن قد ولد بها ، فليس في قصصه أية اشارة الى أماكن سورية أو لبنانية أو فلسطينية . ونجد الروح المصرى الصميم في كتابته ، وبعض قصصه تنتهي بنكت مصرية ، ونرى فيها بعض الصور الشعبية .

ونلحظ في القصص – بشكل ظاهر – مظاهر الوطنية المصرية الصادقة التي اشعلتها ثورة ۱۹۱۹ حتى لنجد الاهداف الوطنية تطغى على فنية القصة وتخرج على مقتضيات الأصول القصصية .

ولا شك أن من دلائل نشأته المصرية تحمسه للدعوة الى أدب قومي يصور الشخصية المصرية ويعالج مشكلات المجتمع المصرى .

وهو يتحدث في معظم قصصه عن أسرات متوسطة تكافح لكي تحتفظ بمستواها . واحيانا تعمل على الوصول الى مستوى أعلى ، وغالبا يكون الكفاح في ميدان الأعمال الحرة . ونرى في القصص لونا طريفا من كفاح الطبقة المتوسطة في البيئة المسيحية المتمصرة ، بنات يتعلمن في مدرسة الراهبات ويتثقفن فيها بالثقافة الفرنسية ، والآباء والامهات يكدحون ليحققوا لهن هذه التربية ، ثم نرى البنت تتطلع الى أن يحبها رجل غني ويتزوجها ، وقد تدوس على مشاعر حب آخر بينها وبين شاب فقير .

وهذه البيئة التي نشأ فيها شحاتة عبيد بيئة متحررة ، يجرى فيها اختلاط الجنسين ، وقد أتاحت له ، كما أتاحت لأخيه عيسى عبيد فرص الكتابة عن الحب والعلاقات بين الجنسين التي تنشأ من الاختلاط ، ولم يتح ذلك لزملائهما من كتاب القصة المصريين في ذلك الزمن ، اذ كان الحجاب لا يزال سائدا ، ولا يزال كل من الرجل والمرأة في معزل عن الآخر في سائر طبقات المجتمع المصرى ، ما عدا الكادحين والكادحات في القرى ، ومن هنا استطاع « هيكل » أن يتحدث عن حب قروى بين فتى وفتاة من أولئك الكادحين المختلطين في الأكواخ والحقول وفيما عدا قصص عيسى وشحاتة وهيكل لا نكاد نرى حبا عميقا بين رجل وامرأة في تلك الفترة .

ولذلك كثيرا ما نرى – في قصص شحاته عبيد – الحب ينشأ والتقاء الأحبة يجرى في الزيارات الأسرية الاسبوعية ، اذ كان لكل أسرة يوم في الاسبوع يسمى « يوم المقابلة » يزورها فيه الأقارب والجيران والأصدقاء رجالا ونساء غير متحرجين ولا متحرجات ، ويجرى في اجتماعهم سمر والعاب تسلية وموسيقى وغناء .

وليس معنى ذلك أن الكاتب انحصر في تلك البيئة ، فقد تناول غيرها من البيئات والشخصيات وانعكست في كتابته ظواهر المجتمع المنفصل الجنسين ونتائج هذا الانفصال .

فالقصة الأولى في المجموعة ، وهي « درس مؤلم » تصور آثار الانفصال ، اذ نرى فيها عالم الرجال في الحانات وبيوت الساقطات . ونرى العالم الآخر عالم الحريم ، مع رجال آخرين ، يلتقين بهم عند مدام دى سيريز الخياطة في الظاهر والقوادة في الخفاء ، والتي لا يشك الداخل الى منزلها « في أنه مصنع للأزياء الجديدة وهو يبصر أمامه الحرائر والعرائس الخشبية منتصبة ، وأكثر من عشرين صانعة كل واحدة آخذة في عمل ، ولكن الأخصاء المترددين يعرفون أن الجناح الايمن من المنزل مخصص لاجتماع الاحباب » .

والدرس المؤلم الذي تعنيه القصة ، هو الذي أخذه « طلعت بك » اذ ترك زوجته محبوسة في المنزل وراح يصول ويجول مع « الاخوان الذين لا يعرفون بعضهم الا متى أخذت الشمس في الاصفرار وبدأ الليل يسدل جناحيه فتقودهم أرجلهم أو اذا شئت عادتهم الى انتياب الاماكن التي وجدوا فيها من يجاريهم في ميولهم » ولكن هذه الحياة لم تدم لطلعت بك ، اذ تقص علينا القصة كيف عرف أن

صديقه « سرى بك » — وهو من أولئك الاخوان — رأى زوجته عند « مدام دى سيريز » وان الخياطة وعدته أن تبذل جهدهـا لتوقعها من أجله ٠٠ من اجل سرى بك ٠٠ ولكن الزوج أسرع قبل ان تقع زوجته ٠٠ وقاطع « الشلة » وسافر بزوجته الى الاسكندرية حيث أقاما هناك ٠

وفي المجموعة غير ذلك سبع قصص يتمثل فيها فن شحاتة عبيد في التحليل والغوص في أعماق النفس وتصوير العلاقات الاجتماعية بفهم وصدق ٠

ومن القصص التي تصور بيئةالكاتب في القاهرة قصة « البائنة » وهي قصة اسرة سورية مكافحة تنحرف في كفاحها نحو المال بطريق غير سليم من الوجهة الوطنية ، وتنحرف فتاة الاسرة التى تدور عليها القصة نحو الخطيئة مع ضابط استرالى من قوات الاحتلال البريطانى ٠ فالأسرة تحمل همزواج فتاتها « اديل » لأنها فقيرة ليس لديها مال تقدمه « بائنة » او « دوطة » للرجل الذىيتقدم لها ، واديل مشبوبة الغريزة تتشوق الى رجل تحبه ويحبهـا وتتزوجه ، وتلتقى بموريس فى احدى الزيارات العائليـة الاسبوعية ، ويتحابان ، ولكن والد موريس يريد أن يزوجه من فتـاة غنية ، ولاديل اخوان موظفان صغيران ، أحدهما عند «عمر افندى» والآخر فى محل « بلانشى » ودفعهما حب المال الى ترك وظيفتيهما وفتح مطعم وحانة ، « وكان ذلك الوقت موسم البارات والمطاعم بسبب وجود الجيش الأسترالى والانجليزى بكثرة » وكسبا مالا كثيرا ، ونزح الجيش الاسترالى الى الاسكندرية ، فتبعه الاخوان ، ونشأت صداقة بينهمـا وبين ضـابط استرالى ، زار الضـابط الاسرة فى منزلهـا بالاسكندرية ، ونشأت العلاقة بينـه وبين اديل ، وخرجت الفتاة مع الضابط الأجنبى فى نزهـات على الشاطىء وسارت معه الى اقصى الشـوط ٠٠ وعاد الضابط الى بلاده ، ورجعت الاسرة الى القاهرة ، وسعى اليها والد موريس طمعا فى غناها ، وعاشت اديل وزوجها موريس « ترفرف عليهما السعادة والهناء ، ولكنها كانت تسبح بفكرها احيانا وهى جالسة بجانب شرفتها فتتذكر جيمى (الضابط) ورمل الاسكندرية فتبتسم ٠٠٠ » ٠

وفى هذهالقصة دراسةقصصية ناجحة لشخصية اديل وميولها ونوازعها والوصول بذلك الى النتائج التى وصلت اليها ٠

وقصة « الصـلاة » ذات موضوعين رئيسيين ، ولعل هذا عيب فيها ٠ الموضوع الأول حالة الأديب الصادق وبؤسه فى البيئة التى لا تفهمه ولاتقدره ، والموضوع الثانى وطنى يتعلق بالحركة الوطنية التى قادها سعد زغلول ، وفى القصة أيضا موضـوع آخر ثانوى ، هـو اهتمام السـيدات المصريات بالاعمال الخيرية ، الى جانب اشتراكهن فى الحركة الوطنية ، وقد ذكر الكاتب أسـماء حقيقية مثـل « هدى شعراوى » و « حرم فهمى ويصا » ٠

وقصة « بين غزالتين » رمزية ، قالعنها فىمقدمة المجموعة : « رب منتقد يقول بعد قراءة مجموعتى هذه نراك تنعى على الكتاب الخياليين خيالهم وقـد حذوت حذوهمفى رواية « بينغزالتين » لأنها منالنوع الخيالى الأيداليسم ، ولكنى اقول انها خيالية يراد بها حقيقة وهى أقرب الى الحقائق من الخيال ، وقد جئت بها عمدا لأدلعلى أن الخيال فىدوائره المحصورة متى طبقت عليه القواعد العلمية الفنية يكون «سائغا مقبولا » ٠

مسالة تطبيق « القواعد العلمية الفنية » فيهـا شىء من المبالغة والتكاثر ، ولعله يقصد أن الخيال متى أريد به التعبير عن واقع أو قصد به الى هدف واقعى فهو مقبول فى مذهب الحقائق « الواقعية » مادام يسير على منهجه ويتجه اتجاهه ٠

ومجمل الحكاية ان « حليم » عرف بحبـه المفرط للحيوانات ، وقد ورث مالا وافرا « عن والده الذى كان حاكما متصرفا فى البلاد المصرية ، تحت اشراف الدولة العلية ، مندوبا من قبلهـا ليمثل فى بلادنا انواع ظلمها وعسفها وجورها فجمع ماجمعمستبيحا كل الطرق والوسائل حتى داهمه القضاء فى نفسه فسلبها » ٠

أنشأ حليم حديقةحيوان خاصة فى قصره ، وكان فيها غزالة أولع بها ولعا شديدا ، وآنست منهالحب فاقبلت عليه تلوذ وتتمسح به كلما جاء نحوهـا ، ثم رأى فى الاسواق غزالة أعجبتهفاشتراها وأخذها الى الحديقة ، ثم فوجىء بالتنافر بين الغزالتين وفتور الغزالة القديمة وابتعادها عنه ، واحتار حليم بين الغزالتين وحزن عليهما عندما رآهما « تعانيان من الم الغيرة والحقد مازاد فى هزالهما » ٠

وتنتهي القصة بالاشارة الخفيفة الى المرموز اليه ، وهو الجمع بين زوجتين ، اذ مرت بخاطر حليم حياة صديقه محمود الذى كان يشكو اليه همه مما يعانيه من زوجتيه ، وعرف فى النهاية خطاه فقال فى نفسه : كان الأجدر بى أن أقنع بواحدة ·

ووصف الكاتب لهذه القصة بانها رواية ربما لأن مفهوم الرواية كان لايزال يشمل القصص بانواعها من طويلة وقصيرةومسرحية ، على انالقصة نفسها أشبه فى بنائها وحوادثها بالرواية · وهذا ملحوظ فى بعض قصص الأخوين عيسى وشحاتة ، على خلاف قصص محمد تيمور ، تلميذ موباسان ، الذى كان مفهوم القصة القصيرة واضحا عنده كفن متميز ·

وأضعف ما فى المجموعة أقصوصة « مبروك يا أم محمد » وهى تقص حكاية مما يتندر به فى التنديد بفن الخاطبات ، وهى تنتهى بنكتة يبدو أنها المقصودة من الحكاية ، فأم محمد ارمل كبيرة تحن الى الزواج وصفتها الخاطبة للأسطى على بانها صغيرة وجميلة ، ولكنه تبين عند الزفاف حقيقتها ، وسمع النساء يقلن لها « مبروك يا أم محمد » فلما خرجن جميعا من الحجرة ولم يبق الا هى « اقترب منها بلطف وقدم لها يده قائلا : « مبروك يا أم محمد » وخرج لا يلوى على شيء ··· »

وهناك قصة من نوعها ، ولكنها جيدة وهى « الغيرة العمياء » تحكى قصة امرأة مات زوجها ، وكانت تحبه وتغار عليه ، فحزنت لموته حزنا شديدا حتى كان يوم تقدمت فيه الى الشيخ الذى يقرأ سورة كل يوم على روح المرحوم ، وسألته عنزوجها (محمد بك) أين هو وماذا يعمل ، فأجابها بانه فى الجنة ينعم بالحور العين ، فامتقع لونها لشدة غيرتها من الحور ، وقالت : « ياابن الكلب بقى أنا هموت نفسى عليك وانت بتعمل كده ! » والنكتة هنا نابعة من صميم القصة لأنها تصور مدى الغيرة العمياء ·

واذا انتقلنا بعد الى الخصائص العامة لشحاتة عبيد فاننا نجده : أولا ـ يماثل أخاه عيسى فى النزعة التحليلية والبراعة فى رسم الشخصياتمن الداخل ، وهما يعتبران سابقين فى هذا المضمار ، وقد وقع شحاتة فيما وقع فيه عيسى من ترديد عبارات مثل « محلل نفسى » فى مجال التصوير الفنى ، يقول مثلا : « وقد ستر امتلاء وجنتيها واستدارة وجهها من برطمة شفتيها اللتين مارآهما محلل نفسى الا وعرف ما لصاحبتهما من النوازع الاخلاقية » ·

وكذلك الأفكار المباشرة التى يطل بها من خلال السياق القصصى يقول عن رواية تركها مخطوطة أديب بائس توفى « رواية عصرية يشرح فيها فساد بناء العائلة اذا كان قائما على زواج أساسه المادة ، وقد اقتدى المؤلف فيها باهل المذهب القائل بان يترك للقارىء جهد معرفة قصد المؤلف » ·

وكاتبنا « شحاتة » من أهل هذا المذهب ، ونراه يخرج عليه بهذه العبارة نفسها ··

وهذا وذاك قليل بل نادر فى قصص شحاتة ، فلم يكثر منه مثل ما فعل عيسى ·

ثانيا ـ يمتاز شحاتة عبيد بالمرح والدعابة والروح القاهرية الفكهة ، ويتجلى هذا فى قصة « درس مؤلم » وفى القصتين اللتين صاغ فيهما نادرتين من نوادر أهلالقاهرة كما سبقبيان ذلك ·

وتزخر قصص شحاتة بأسماء أماكن وملاه فى القاهرة والاسكندرية بعضها اختفى والبعض لايزال قائما ·

ثالثا ـ أسلوبه اللغوى من أليق الأساليب للفن القصصى ، اذ هو متحرر مما يقيد الأساليب القديمة ، وفى الوقت نفسه مكتسب من قراءة النصوص الأدبية العربية · واخطاؤه اللغويةقليلة ، بالنسبة لكثير من كتاب القصة فى ذلك الزمان ·

عباس خضر

فى رثاء الخفيف

فديتك راحلا

للأستاذ محمود غنيم

كان المرحوم محمود الخفيف فى الرعيل الاول من كتاب الرسالة وشعرائها، وقد وافاه أجله منذ عامين فى مدة احتجاب الرسالة . ومن حقه على الرسالة وقد عادت الى الظهور وحان موعد ذكراه الثانية ـ أن تنشر المرثية الدامعة التى رثاه بها صديقه ... وقد كان بين الشاعرين وشائج صداقة ، ومساجلات أدبية ، ودعابات خالدة لا تزال تتردد على ألسنة الرواة ، وقد أشار الشاعر الى كل ذلك فى مرثيته التالية :

علام تشد رحلك غير وانى ؟ — فديتك راحلا قبل الأوان
رويدك يا خفيف فلست تدرى — بقبرك ـ بعد بعدك ـ ما أعانى
بربك كيف تلقى الموت دونى ؟ — وكيف به دعاك وما دعانى ؟
وانى من كيانك كنت جزءا — كما قد كنت جزءا من كيانى
وكنت أعد دمع العين ضعفا — فسال عليك منطلق العنان
وقالوا ان سكب الدمع يشفى — فما للدمع بعدك ما شفانى ؟
وما هذى الحياة سوى طريق — ونحن على الطريق مسافران
فكيف تركتنى فى الدرب فردا — ومال بالسرى فردا يدان
وآخى بيننا الأدب المصفى — فظن الناس أنا توءمان
فكنت اذا فرحت فرحت قبلى — وتشجى أنت ان هم شجانى

***

أحقا أن محمودا تولى — وانى لن أراه ولن يرانى
وكيف وصوته ما زال يسرى — الى سمعى كما تسرى الاغانى
وذلك سمته طلق المحيا — وذاك شبابه فى عنفوان ؟
كذلك أنت يا دنيا سراب — لحاك الله مالك من أمان
يطالعنى الخفيف بكل أفق — والمح وجهه فى كل آن
أكاد أراه حين أسيغ مائى — وزادى فى الكئوس وفى الأوانى
أرى وجه الخفيف خبا سناه — فأعجب كيف يبدو النيران ؟
كأنى ما جفوت سواه خلا — ولا خل سواه قد جفانى
كأنى ما جلست اليه يوما — ليطرفنى بأبكار المعانى
فأنسانى الجلوس اليه نفسى — وما ألقاه من عنت الزمان
يطيب بيان محمود بسمعى — ومحمود يطيب له بيانى
ويطرب حين يهجوه غنيم — وأطرب للخفيف اذا هجانى
كلانا شاعر يهجو أخاه — بلا حقد عليه ولا اضطغان
سرت أبياتها بين الندامى — فأنستهم معتقة الدنان
يعطرها الوفاء بنفح طيب — ويكسوها الصفاء بطيلسان
وكم مدح يفيض به نفاقا — لسان مثل ناب الأفعوان

وقال الطب سكتة نبض قلب ... عرته فقلت : أقشاء التفانى
سجل خط فى خمسين عاما ... طوته يد المنية فى ثوان
ولكن بعد ان أضحى نشيدا ... يردد مثل ترديد الأذان
يصيب الموت محمودا ليفنى ... وليس تراث محمود بفان

***

أعنى يا خفيف على المراثى ... رأيت الشعر بعدك قد عصانى
فكم عاونتنى فى مدح خل ... وكم ساعدتنى فى هجو شانى
وما ترجمت عن حزنى بشعرى ... فلولا كان شعرك ترجمانى
عهدتك ناطقا بالشعر درا ... كأنك صدت شعرك من عمان
تفرد كل ذى قلم بحسنى ... وتمت للخفيف الحسنيان
بكت فيك الكتابة والقوافى ... نبوغ ابن المقفع وابن هانى

***

ليهنك أن موتك فى مكان ... طهور الارض قدسى المغانى
صريع العلم اشجع من صريع ... بضرب السيف أو طعن السنان
ودور العلم ميدان فسيح ... يموت به الشهيد بلا طعان
ولما أن سقطت على ثراها ... كما سقط الكمى عن الحصان
تفزع سقفها علما وضجت ... صحائفها وأعولت المبانى
دمان : دم الشهادة منك يجرى ... وآخر من دموع العين قانى
وزاغت حولك الأبصار حتى ... كأن الأفق غشى بالدخان
وربع جنسان كل فتى جليد ... يخوض لظى الوغى ثبت الجنان
عيون بنيك حولك ناضحات ... بدمع أو بطهر أو حنان
يود فداك كل أغر منهم ... كأن قوامه من خيزران
وما فقدوا بفقدك غير دنيا ... معلقة عليك من الأمانى
وما حملوا على الأعناق الا ... ملاكا من ملائكة الجنان

***

تخذت العالم العلوى دارا ... وعفت العيش فى دار الهوان
وليس النجم يمكث فى مدار ... وليس الطير يلبث فى مكان
واشهد ما حنيت الرأس يوما ... لتدنو من فلان أو فلان
فما تسعى الى أحد ويسعى ... اليك مهرولا قاص ودانى
ولا ترجو سوى المولى معينا ... وأكرم بالمعين وبالمعان
ضمنت بعبقريتك الأمانى ... وما كالعبقرية من ضمان
وما أعقبت يا محمود نسلا ... سوى أبكار أفكار حسان
اذا خطبت تساق لها الدرارى ... مهورا ، لا اليتيم من الجمان
ولولا الفن كنت أبا وجدا ... ولكن لست بالرجل الأنانى
كفى بالفن للفنان ديرا ... يعوق عن التناسل والقران
لقد ربيت للأوطان جيلا ... أشم الأنف منطلق اللسان
فكل أب بمصر يراك قبلا ... أبا لبنيه أول وهو ثانى
شباب الجيل يسأل عن أبيه ... فيومىء نحو قبرك بالبنان

محمود غنيم

من حديث الأبطال

معارك في ضوء القمر

للأستاذ صالح يوسف الأحمر

كانت نسائم الخريف عند الفجر تلفح وجوهنا، فتبعث في عروقنا قوة غريبة متحفزة. وكان الصمت يخيم بين لحظة واخرى وتتخلله هذه النداءات العسكرية الصارمة القاطعة، وقد اصطفت جماعات الجنود والضباط على استعداد للصعود الى سطح المدمرة الرابضة كالجبل، وهناك على السارية يرفرف علم الجمهورية. وفي خطوات رتيبة لها رنين نفاذ كان الجنود يقفزون وهم يصعدون، وجوه متحفزة سمراء تلمع تحت ضوء الفجر الذى بدات خيوطه تتجمع لتنسج مع اشعة الشمس ثوب النهار الجديد ..

وفي لحظات كانت مدمرتنا تشق امواج الخليج الحانية وتستقبلها الشمس في بسمة ملأت الافق الرحيب. وكنت احد ضباط الصاعقة الذاهبة عبر البحر الاحمر ...

كان سطح السفينة يموج بالحركة الدائبة وكل منا على استعداد. كان زميلي عادل ينفرد بجماعة من جنوده يهمس اليهم بنبرات كالرصاص بنوع المهمة التي هم ذاهبون اليها. وهم ينصتون باهتمام والفرحة تشملهم .. وبدات الشمس تصعد في جلال فوق رؤوسنا والسفينة تمخر عباب الامواج التي لم تكن في ذلك الوقت غاضبة معربدة، ومن خلفنا خط طويل ابيض ينتهي بمقدم سفينة ثانية.

كانت الليلة مقمرة والنجوم تتلألأ والامواج تعبث بالسفينة الماخرة في ثبات وتصميم وكانت الريح تعصف قليلا وقد خيم صمت وسكون، وكنت احد القلائل الذين انفردوا بانفسهم .. لقد كانت الليلة ساحرة وداعبت الذاكرة ابيات من الشعر والافكار والخواطر، ولم تعد ذكريات الامس القريب الا صفحة بيضاء كأن الذاكرة قد اسدلت ستارا رقيقا، ولم اعد ارى الا هدفا .. طريقه هذا البحر المتلاطم .. وهذه الارض الجديدة .. ثم قادتني قدماي الى قمرتي ونمت نوما عميقا خال من الاحلام ...

مرت الليالي القليلة في عمل متواصل واستعداد وتحفز حتى كانت لحظة النزول الى البر، الى الارض الجديدة .. هذه الارض العربية التي تفجرت بها براكين الثورة .. كان الامام قد هرب الى الحدود وكانت قوات الثورة تزحف في جنون وحذر تطهر الارض - المتعطشة للحرية - من براثن الفساد والرجعية وكان جيشا واحدا مختلطا .. ودبت الروح من جديد .. وتعانقت القلوب وتركز الهدف .. هدف واحد هدف امتدت جذوره عميقة .. هدف القضاء على الرجعية المنهارة، والتي بدأت تتجمع فيما وراء الحدود تتوارى في الظلام .. في الكهوف في جوف الوديان السحيقة الخائنة ..

توالت الانتصارات في الصحراء، في الجبال، في الوديان .. كنا نقفز كالشياطين كاننا كنا نعرف هذه الارض من امد طويل. لقد كانت تذكرني بجبال سيناء .. سلسلة جبالنا الممتدة على طول الساحل .. كانت صيحاتنا ترهب المتسللين فيفرون كالفيران المنزعجة تاركين وراءهم ادوات الخيانة ودمهم الأسود الذي لطخ الوديان وقمم الجبال الشماء ولم يكن يطهرها الا الدماء الزكية المناضلة الثائرة .. وكان القمر ينفذ من خلال السحب فينشر الضياء ويبارك كفاحنا ويهدى رجالنا بين الدروب وفوق القمم الى الهدف .. الى النصر..

كم من ايام سعيدة قضيت بين القرى التي كانت تشارك الجيش الموحد انتصاره .. كم من قلوب متفتحة للحياة الجديدة ضحت بالكثير في سبيل الهدف، في سبيل الحرية .. لم تكن الحياة المظلمة التي عاشها الشعب هناك في ظل حكم الامام، لتطمس ارواحهم .. فقد عادت اليهم الروح بمجرد اندلاع الثورة المقدسة، وكان كل فرد يعرف طريقه ويعرف مهمته ويعرف هدفه، هو القضاء على الرجعية ... والقضاء على الخونة ...

مضت الشهور وقد تحررت الارض الجديدة. وكنت أردد دائما الآية الكريمة « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور »...

وكنت اقرأ خطاب هدى خطيبتي وهي تذكر لي هذه الآية التي ذكرتها مرة في خطابي لها .. وهي مسرورة فرحة بهذه الآية وكانت روحها معي حيث

بلاد الذكريات الخالدة .. حيث كانت هنا مملكة مزدهرة وحضارة عريقة مقدسة ، ولغة قديمة طباعة للشعر والادب .

وكانت هدى طوال هذه الشهور تكتب الى واكتب اليها ، وكنت اقرا خطاباتها فى كل وقت ... فى كهف ، فى وادى عميق .. تحت اشعة الشمس المحرقة .. تحت ضوء القمر الفضى الذى يعكس بريق الجبال الشماء الخالدة .. هذه الجبال التى يداعبها ضوء القمر وكانه يفهم سرها .. وكان هذه القمم كانت تدخر اسرارها لهذا الزمن .. وهذا الجيل الذى سقاها من رحيقه الالهى .. فدبت فيها الحياة وكشفت عن سرها الذى كانت تطويه فى جوف الزمن .

هناك فى ارض النيل .. النيل الخالد وهناك منابعه القريبة المختفية وراء الجبال الممتدة على شاطىء افريقيا عبر البحر الذى تحف شاطئيه بلادنا الموحدة .. لقد ذكرتنى هدى فى خطابها الاخير بأن هناك فى ارض النيل صحراء تشبه هذه الصحراء .. وجبالا تشبه هذه الجبال ورياضا وخمائل وبساتين تشبه هذه الخمائل وهذه البساتين وكنت ابتسم فى سعادة وهدى تربط بين خيالى وخيالها وتمزق الاستار التى كنت قد اسدلتها على ذكرياتى قبل هذه الشهور .. لقد كان امامى الهدف ولم اكن ابغى أن يشغلنى عنه اى خاطر من خواطر الفكر الطائر او اى ذكرى من ذكريات القلب الطروب ...

لقد ذكرتنى هدى بأيام التدريس .. وسألتنى هل انا اعامل جنودى بهذه الرقة التى اعامل بها تلاميذى .. لقد اعادت لقلبى ذكرياته وانا بين تلاميذى اشرح لهم وانا فى نشوة المهنة كأنى فى محراب صلاة .. وكم تألمت للاطفال هنا .. اطفال هذه القرى البعيدة البائسة .. وداعب الامل خيالى، فانهم سوف ينالون حظهم من العلم والدرس وسوف تنتشر هنا المدارس كما انتشرت فى قرانا .. هذه البلاد الجميلة سوف يمسح العلم عن عيون ابنائها خمول الماضى وقسوته .. وسوف تكتسى هذه السفوح الخصبة والوديان العطشى ، بالزرع الأخضر وتتحول الى حقول يعم خيرها الناس .. وتتحول الصحراء الى مراع مترامية خضراء .. يا الهى كم شطح بى الخيال .. كلا ولكنها الحقيقة ...

لقد ازددت اعجابا وزهوا بهدى ... فانها لم تحدثنى فى خطاباتها التى اربت على العشرين عن العودة .. ومتى اعود .. بل كانت تقول دائما انها تفخر بالانتصارات التى نحرزها .. وان القلوب تدعو والارواح تتجاوب فى انفعال وصلاة مع ارواحنا وقلوبنا .. لقد اثارنى حنينها من بين ثنايا السطور، انى اسبح بخيالى فى كلماتها حتى استطيع ان استشف هذا الحنان .. هذا الحب الذى ترويه بدموعها .. حتى دموعها التى لم تذكر عنها شيئا كنت اكتشفها من اثر قطرة اخفت معالم كلمة لم تلحظها .

كانت معركة الامس على الحدود قاسية ، وكانت الشمس تبزغ من وراء الجبال عندما رجعنا. وكانت دروب الجبال مغطاة بالجثث .. جثث الاعداء .. ومدافعهم الصغيرة متناثرة هنا وهناك ، وكانت سحنهم غادرة خائنة .. فقد فاجأناهم من فوق القمم بالقنابل ثم بالمدافع حتى نثرنا الرعب فى قلوبهم واختلطت صيحاتهم بدوى الانفجارات والصرخات حتى انجلت المعركة التى انفجرت فى جوف الليل وامتدت حتى الفجر بهذه الاشلاء وهذه الاسلحة الكثيرة المبعثرة ، وكانت آثار هروبهم ظاهرة ..

فى المساء بعد ما ازلت عن جسدى غبار المعركة وكنت قد اعتدت ان اسامر مع زميلى عادل ونتناقش فى امور كثيرة ، كان دائما يبدى ملاحظاته الذكية الفاهمة ويتنبأ بمكان المعركة القادمة ، فكان يعرف الدروب والممرات كأنه قد عاش هنا منذ طفولته .. وكان فى جلسته الهادئة يسرح بطرفه بعيدا ثم اغمض عينيه ... لقد كان حزينا لفقد الشاويش حسين .. انه خسارة كبيرة ..

ودار الحديث حول هذا البطل الذى كان لا يفارق عادل فى كل المعارك .. كانت طريقته فريدة عجيبة .. فكم من متسلل لقى مصرعه على يديه او وقع اسيرا فى قبضته الفولاذية ..

كان الشاويش حسين من بورسعيد .. شهد منذ طفولته مسرح جنود الاحتلال وفقد اقارب كثيرة فى الغارات خلال الحرب العالمية الثانية .. وعندما اشتد عوده كافح الانجليز فى القتال وكان فى كل اعماله بطلا .. وشهد خروج الانجليز وبعد اشهر قليلة شهد غدرهم وهم يعودون اشد قسوة وشراسة .. وفى قلب بورسعيد وسط نيران العدوان

الغاشم اظهر من انواع البطولة حتى انتصر ... وانتصرت بورسعيد وشهد انسحابهم الذليل فاقسم انهم لن يعودوا ابدا ... وسوف يكون درعا ثم تطوع ليكون على استعداد لخدمة الوطن العربى .. فكان من ابرز جنود الصاعقة حتى اصبح معلما مدربا .. وكان أول من نزل ارض اليمن الثائر وحارب هذه الاشهر حتى انتصر ثم كان الفداء الذى هز المعسكر كله ... واقسم الآخرون أن ينتقموا.. وطالت جلستنا .. ولمحت يد عادل وهى تمسح بسرعة دمعة غافلته ..

كثرت محاولات المتسللين وانتقم عادل والزملاء ...

لقد وصلنى خطاب من هدى .. مالها حزينة .. لقد كان خطابا مقتضبا .. ولأول مرة تكتب متى اعود .. لقد طالت الغيبة .. انى حزينة .

لقد حيرنى خطاب هدى الأخير ٠٠ لا أدرى سببا لهذا الحزن ، شغلنى التفكير فيها عدة ايام وكانت الجبهة هادئة الا من ازيز وصفير الطائرات من وقت لآخر .. وكنا فى سهل فسيح .. وكان هناك راع صغير بعيد عن قريته ، يجلس فى ظل شجرة وارفة واغنامه القليلة ترعى فى هدوء ولم يكن يخيفها الا مروق الميج الذى يرعد فى دوى تردد صداه هذه السهول والسفوح ...

وطافت بفكرى ذكريات الاشهر التى مضت .. شريط الاحداث التى مرت .. صورة القاهرة ..ثم صورة القرية التى نشأت بها على الحدود الغربية للدلتا حيث تتشابه حياة السكان من اعراب الصحراء الغربية وفلاحين وقد خرج منهم خليط عجيب ، فقد اكتسب كل منهم تقاليد الآخر وتزاوجوا ٠٠٠٠ لم اودع هدى ولم أقل لها كلمة بل كانت تنتظرنى على موعد بعد عدة ايام ، وفوجئت بسفرى ..

وكان خطابها الاول قلقا ولكن بعد ان اطمأنت الى معاركنا المنتصرة .. كانت خطاباتها كلها ايمان وأمل ووطنية وقوة دافقة أشعرتنى بقوتى وبقوة القضية التى نحارب من اجلها ٠٠ حتى كان خطابها الاخير .. هذا الخطاب الحزين .. حتى علمت بوفاة والدها .. ووجهت اليها كلمة رقيقة بالاذاعة والتليفزيون ٠٠ ووصلنى من اهل ما يطمئننى بأن هدى تحت رعايتهم ، لقد أصبحت يتيمة وحيدة ٠٠

كان المعسكر الضخم الذى يمتد مئات الاميال على استعداد.. كانت امدادات جديدة تصل ووجوه جديدة من كبار الضباط .. وانضم جنود من اليمن بعد تدريبهم الدقيق ، انهم فئة محاربة لديهم شجاعة نادرة وقوة احتمال تثير الاعجاب .. أليسوا هم احفاد الاجداد الاول الذين خرجوا من الجزيرة العربية ٠٠٠ من بطاح اليمن ، قبائل بأكملها فى جيوش الاسلام تحت قيادة خالد وعمرو وسعد ابن ابى وقاص .. وفتحوا بلاد الدنيا فى ذلك الوقت والآن هى البلاد العربية التى ترعد فيها كلمة القومية العربية وتصطخب امواج الشعوب فى هدير تطلب الوحدة .. من الخليج الى المحيط ..

توافدت شيوخ القبائل على المعسكرات لتشد ازرنا ، بعد أن عرفوا الحقيقة وافاقوا من تعاوية الامام وادعائه وعرفوا حقيقة وجودهم .. وارتفعت اصواتهم بالولاء للثورة .. لقد تحررت النفوس الضالة ورددت الآية الكريمة « وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون»

كان شهر فبراير دافئا الا من قرصات البرد فى الليل فوق القمم .. كانت المعركة الكبرى قد بدأت وبدأ الزحف والتف الجيش بكل قوته حول المواقع وسدت الممرات الجبلية .. وفر العدو ، ووقع الكثيرون فى المصيدة كالفيران .. وحوصر الخونة والمرتزقة وسقط شهداء .. حتى وصلنا للارض المقدسة لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ٠٠٠٠٠٠٠

لم أنم تلك الليلة فقد عصر الحزن قلبى ٠٠ فقد استشهد عادل بعد معركة بطولية .. هذا البطل الشهيد هذا الزميل والصديق والأخ ..

لقد ارسلت لهدى خطابا واخبرتها باستشهاد عادل ، اظنها ستحزن كثيرا لانها تعرف انه صديقى. لقد كانت الكلمات التى كتبتها فى خطابى رقيقة حزينة ... وكنت لا اود ان اكتب اليها هذه الكلمات الحزينة ولكن كان لا بد ان اكتب اليها هذه الكلمات .. انها ستعرف ان هنا على هذه الارض جنودا ٠٠ بل أبطالا يصنعون التاريخ ويحمون الحدود .. وعلى كاهلهم يقع صد حالات الرجعية البالية المتوحشة التى يؤازرها الاستعمار المترنح البغيض والصهيونية البغيضة الدنيئة ... عليها أن تتعلم كيف تتقبل كل الانباء السيئة منها والمفرحة ... ولكنى فى ختام خطابى اعطيتها امل عودتى قريبا .. قريبا بعد المعركة الكبرى ...

صالح يوسف الاحمر

ليبيه الحرية بالاسكندرية

السيد محمد كريم
حاكم الاسكندرية الشهيد
للأستاذ منصور جاب الله

فى شهر سبتمبر من عام ١٧٩٨ ، وفى ميـدان الرميلة : أخذ المستعمرون الفرنسيون رأس «محمد كريم» ، فسقط البطل العربى المغوار يتشحط فى دمه وصعدت روحه الطاهرة الى بارئهـا تستشرف لجنات الخلد بين الشهداء والأبرار وحسن أولئـك رفيقا .

***

ولم يرع المستعمرون حرمـة المـوت ورهبوته فطافوا برأس الشهيد على ملأ من سكان القـاهرة يشهدونهم أن البطل الذى دافع عن حرية بلاده وأذل المستعمرين قد مات !

***

واستشهد محمد كريم حاكم الاسكندرية الوطنى دون أن تلين له قنـاة ودون أن يخضع لأوامر المستبدين الذين قضـوا عليه بأن يؤدى غـرامة قدرها ٣٠٠ ألف فرنك لانه « خان » أعداء الوطن !

فمن هو محمـد كريم الذى ملأت سـيرته بطون الاسفار وصار مثلا للوطنية والخلق الكريم ؟

***

نشأ فى الاسـكندرية يتيما وكفله عمه ، ثم اشتغل مع أخيه فى التجارة وتحول عن التجارة الى مهنة القبانة ، وكان فى خلال ذلك يدرس التصوف على احد كبار رجال الصوفية واشتهر بين النـاس بالتقوى وحسن المعاملة وحلاوة المنطق ، فاهله ذلك لمكان الزعامة بين أهل الثغر فكانوا يستشيرونه فى خصـوصيات أمورهم ولا يقطعون فى شأن دون رأيه .

***

وغنى عن البيـان أن الشعب المصرى كان كثير الثورات على حكامه الأجانب الجائرين ومن ثم ثارت الاسكندرية بواليها التركى (سيد شهبة) وطردته حوالى آخر شهر رجب سنة ١٢٠٠ هجرية .

وانتخب الشعب السكندرى زعيمه السيد محمد كريم واليا عليهم وأرسل السكندريون الى « الباب العالى » يطلبون اقرار هـذا الانتخاب فاستجابت تركيا لهذه الرغبة الاجماعية وأرسلت الى السـيد كريم « فرمانا » بتعيينه واليا على الاسكندرية .

***

وبعد ما استتب الامر للوالى الجديد ، أصـدر مراد بك حاكم مصر اذ ذاك أمرا بتعيينه مديرا لجمرك الاسكندرية وكان منصبه يضارع منصب الحـاكم فكأنه جمع الرياستين بيد واحدة .

وقد أجمع المؤرخون على أن السيد محمـد كريم استحق الخلود فى أسفار التاريخ بعملين رائعين من أعمال البطولة التى كانت تندر فى ذلك الزمان .

***

اولهما انه حينما بلغ الاسـطول البريطانى ثغر الاسـكندرية فى ٢٨ يونية سـنة ١٧٩٨ مطاردا العمارة الفرنسية التى قدمت بقيادة نابليون بونابرت لغزو مصر ، وعرض نلسون القائد الانجليزى الشهير على الحاكم المصرى أن يتولى الاسطول البريطانى حماية الاسـكندرية من الغزو الفرنسى المرتقب ، رفض «كريم» العرض بإباء وشدة : فطلب القائد الانجليزى تزويده بالمؤن والماء لقاء اجر كبير ولكنه رفض أيضا ولم يخضع لوعد او وعيد . ومن ثم أقلع الاسطول البريطانى من الميناء خاسئا وهو حسير .

وعلى ذلك يكون محمـد كريم أول حاكم مصرى أنكر الحماية الاجنبية ودفعها عن بلاده .

***

أما الامر الآخر فهو موقفه الرهيب من بونابرت الذى دوخ العالم ودانت له الرقاب ، اذ تزعم حركة الكفاح الشعبى ضد الاحتـلال الفرنسى وحمل الشعب على قتل الجنود الفرنسيين أينما وجدوا فى أرجاء المدينة وضواحيها ، فكانت مقتلة عظيمة ارتاع لها القـائد الفرنسى ، وقتل الجنرال ماس قائد المقدمة ، وجرح الجنرالان كليبر ومينو وكاد نابليون نفسه يلقى حتفه . وتترس المصريون بقلعة قايتباى حتى مطلع الفجر .

***

وقد حمل السيد محمد كريم تبعة هذه المقاومة الشعبية الرائعة كما حمل ايضا تبعة الكفاح السرى

مما نشرته الرسالة عام ١٩٥١

ثوروا على الفقر قبل أن يثور

ان تعليم الشعب معناه أن تزول الغشاوة عن عينه فيبصر ، وأن تنجلي الغشاوة عن قلبه فيفقه ، وأن تذهب البلادة عن عصبه فيحس . ومتى يبصر الشعب ويفقه ويحس ، يدرك الاختلاف بين حال وحال ، ويميز الفرق بين طبقة وطبقة ، ويقرأ العدد الاخير من مجلة (آخر ساعة) مثلا فلا يكتفي منه بالصور تلهيه ، ولا بالاخبار تسليه ، وانما يوازن موازنة الواعي المفكر بين ما صورته من عيد رأس السنة الميلادية وما أقيم فيهمن مآدب ومراقص فاضت بالنعيم ، وتلالأت بالجواهر ، وازدهت بالحلل ، والتحمت بالرقص ، وطفحت بالخمر ، وضجت بالجاز ، والتهبت بالقبل ، وعرضت على الأنظار الطامحة ألوفا مؤلفة من الجنيهات المصرية تمثلت على الاجساد المترفةالبضة حللا وفراء وعقودا ومشابك وخواتم مما يجلبه الغنى الفاحش من كنوز أوربا ! يوازن بين هذا وبين ما صورت المجلة في العدد نفسه من بؤس الفلاح في قرية (مناوهلة) بالمنوفية وما يكابده من كرب العيش . وغصص الفاقة ، ومض الأمراض ، وعنت الملاك ؛ وهبوط دنياه الى دنيا البهيم ، فيأكل أخشب الطعام ولا يغتذى ، ويلبس أخشن الثياب ولا يستتر ، ويعمل أشق الاعمال ولا يكافأ ، وينتج اعظم الانتاج ولا يشارك ، فتصدمه الموازنة لانه علم ، وتؤلمه النتيجة لانه أحس . ويومئذ يسالكم يا أصحاب المعالي هذا السؤال : « ماذا تصنعون على الكراسي التي وضعتكم عليها بيدى ، وكافأتكم على الحركة فيها بمالي ؟ » .

ولعلكم تدركون يا أصحاب الجاه والسلطان ، ان الجواب عن سؤال الشعب غير الجواب عن سؤال البرلمان ! .

أعداؤنا الثلاثة يا أصحاب المعالي وهى الجهل والفقر والمرض لا تعرف هوادة ولاتقبل هدنة . فأما الجهل فالصراع بينه وبين وزير المعارف شديد . والعالم كله يرقب هذه المعركة الشعواء بعين الاعجاب والثقة ، والنصر ولا ريب مكفول لمن لا يقبل النكوص ولا يرضى الهزيمة . وأما الفقر والمرض فقد تركتموهما يعيثان في القرى والمدن ، يبذران الشقاء والوباء ، ويسخران من وعودكم التي تعلن ولا تنجز ، ومن مشروعاتكم التي توضع ولاتنفذ . واذا أنجز منها وعد أو نفذ مشروع ، كان لمصلحة الأغنياء ومنفعة الاصحاء على حساب الفقراء والمرضى !

الزيات

* * *

(السيد محمد كريم – بقية)

بعد ذلك وبخاصة بعد فشل حملة « ديبوى » على دمنهور ، وقد كان هدفها تأمين الطريق الى رشيد . ولكنها اذ منيت بالخزلان عادت أدراجها واعترف قائدها بأنه وجد الآبار في الطريق مسممة وأن العربان والأهلين قتلوا كثيرا من جنوده بتحريض حاكم الاسكندرية الوطني .

وفرض كليبر القائد الفرنسي على أهل الاسكندرية غرامة حربية مقدارها ثلاثون ألف فرنك لعدم اذعانهم لاوامره ، فعارض السيد محمد كريم في أدائها ، وزاد على ذلك بأن أخفى الجمال ودواب الحمل وقرب المياه حتى لا تحمل الميرة والذخيرة للجيش الفرنسي .

واذ تمادى السيد محمد كريم في معارضته للاحتلال الفرنسي بعد فشل حملة ديبوى اعتقل وحمل الى القاهرة ، وحكم عليه بالموت ؛ وعرض عليه نابليون أن يفتدى نفسه بالغرامة الفادحة التي أشرنا اليه في صدر هذا الكلام ولكنه أبى قائلا « اذا كان مقدرا على أن أموت فلا يعصمني من الموت أن أدفع هذا المبلغ . واذا كان مقدرا لى الحياة فعلام أدفعه ؟ » .

❋ ❋ ❋

وحمل الشهيد على أتان الى ميدان الرميلة وهو يهتف من أعماق قلبه « يا أهل مصر اليوم قتلي وغدا قتلكم ، اليوم بي وغدا بكم » .

وهكذا كان البطل الثائر محرضا على الثورة حتى نفسه الأخير .

ورفض الشهيد أن تعصب عيناه حين عرض على فرقة الموت ، وأخذه رصاص المنون من كل مكان وهو مفتوح العينين ينظر في الأفق البعيد الى اليوم الذى يرى فيه وطنه متحررا منصورا .

منصور جاب الله

على طريق الثورة

أخلاق جديدة

للأستاذ عبد الفتاح بركات

الحب فى هذا الزمان يارفيقتى

كالحزن لا يعيش الا لحظة البكاء

او لحظة الشبق .

اذا افترقنا يارفيقتى فلنلق كل اللوم .. على زماننا

ولننفض الأيدى من التذكار والندم

ولنمسح الظلال عن عيوننا

ولنبتسم فى ثقة بان ماحدث

كان ارادة القدر .

وأن آمرا امر

واننا استجبنا للذى نحسه

حين قتلنا حسنا

ولننطلق مغامرين ضائعين فى البحار العكره
نمد جسمنا فى الغرف الجديدة المؤجرة

بين صدور أخرى معتصره

هذه ريح مؤذية لأخلاق وافدة غريبة ، تصور الضياع ، وعدم المبالاة ، والقلق المفتعل ، وجناية استغلال التعبير الأدبى فى الترويج لها انه فى هذه الحالة يأخذ صفة المخدر فيضفى على الانحراف سمة الفكر ، ويجعل من المغامرة الطائشة حتمية عصرية ، ومن هنا يتخذ نفس دور الاقطاع الزراعى والصناعى فى تعفين المثاليات القومية حين يعتبر « مثلا » العجز قناعة ، والرضا بالذل صبرا ، والسلبية طيبة صالحة . وواجبنا ان نحاصر هذه الظواهر النكوصية بالتزام خلقى جديد يرتفع بقيمنا الاجتماعية الجديدة الى مرتبة الواجب ، والا ندع فرصة للفردية لتكون مصدرا للنزوع الشخصى فمن الولاء للثورة وهى جماعية الطابع أن نرى سلوكنا — اهم عوامل البناء المعنوى — بمقومات حيوية متجددة ، تخضع للتقويم المستمر بكافة الطرق الاعلامية والتربوية ، وبمقدار نجاحنا فى تكوين هذه التربة النقية تتهيأ لنا صحة خلقية يكون تكيفها مع طريقنا الاجتماعى الجديد مجديا ومثمرا ، وفى هذا المجال يقول الرئيس جمال عبد الناصر .. « وقد بدا لى فى بعض مامر بى من صور الحياة المصرية فى عهد مضى ، ظاهرة خطيرة لها نظائر كثيرة فى غير مصر هى ان الأخلاق والمثل العليا ليست هى دائما الطريق الى النجاح ، بل لقد بدا لى ان أهل الفساد فى احوال كثيرة اقرب الى النجاح فى الحياة من اهل الخلق والفضيلة .. وقد آذتنى هذه الظاهرة ايذاء شديدا » .

لقد كان الانسان منذ ان انفصل عن جماعات الحيوان بتكوين مجتمعاته يبحث لنفسه عن معالم خلقية يلتزم بها فى كل مرحلة من مراحله الانتقالية ليتكيف مع حيوانهالتى يقيمها عقلهالخلاق مستهديا بجماعيته المتطورة ، فبدات اخلاقياته تظهر متفرقات فى حكم الشعراء ، ثم دخلت بعد ذلك فى دور فلسفى طويل على يد ارسطو والمدارسالتى تلته ، ثمتلقفتها الأديان واحتفلت بها واضفت عليها قدسيتها واعلن نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم انه جاء ليتم مكارم الأخلاق ، واثنى عليه ربه جل وعز بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » وحمل الاسلام الرسالة عبر القرون الوسطى ليصلها بالعصر الحديث . وجدير بنا وقد وصلنا شوطا بعيدا فى بنائنا الاجتماعى الجديد حتى غدت المعالم القديمة تبدو وكأنها رؤى معتمة غائمة ، ان نعمق فى شعورنا فردا وجماعة مثلا اخلاقية قوية تثير فى نفوسنا كل حوافز المقاومة لاى نية مخربة ، وبذلك نحرس اقتصادنا السليم ، ونضيف اليه بهذه المعنويات البناءة ثراء وتطورا ، ولا نشك بمقدار ذرة فى ضرورة الانبثاق الدينى لهذه الاخلاق ، ويدعم هذا الاعتقاد دواع كثيرة منها ان مذهبنا الاقتصادى لم يفد الينا من خارج حدودنا حتى نتخذ له اخلاقا مدنية خالصة ، وانما سلكنا فى التقعيد له مسلك التجربة المحلية المستمرة مع الاستناد الى مبررات دينية وتطبيقات مرت بتاريخنا الاسلامى الخصب ، واذن فليس غريبا أن نسلك مثلنا فى الالزام بالواجب هذا الطريق نفسه ، وبهذا نفتح للضمير افسح المجالات لنمائه وحيويته ، هذا علاوة على أن للأخلاق الدينية فلسفيا

ميزة يتحدث عنها الدكتور محمد عبد الله دراز فيقول « يدعونا القرآن لأن نوجه انظارنا نحو الله وان نطيع اوامره ، وان نعمل ما فى وسعنا للتوفيق بين اوامر الله ومقتضيات الحقيقة الواقعية ، وبذلك تتصل الحلقات التى حاول الفلاسفة فصمها ، ويتحقق الارتفاع نحو المثال الأعلى مع مراعاة ما تقتضيه الطبيعة الانسانية » .

الى هنا ونرجو الا يخطر بظن انا نريد من الدولة ان تمسك بعصا موسى استنادا الى الحكمة المأثورة «ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » لأن العصا لا تكون مجدية فى المدى الطويل لالزام الشعوب بتطور خلقى ، وانما المجدى حقا فى هذا المجال أن تبدى الأجهزة كلها جماهيرية وادارية اهتمامها الكامل بالنماذج الأخلاقية الصالحة . تشجعها وتمنحها القوة فى مواجهة التحديات المعوقة ، حتى تظل حلقات نموها متصلة ومستمرة ، هذا مع كشف طفيلية الانحراف ودوره الانهزامى فى كل عمل تقدمى نافع . فالغيرية فضيلة يجب أن يكرم صاحبها ، لان الفردية فى الفرد روح متمردة على نشاط الجماعة تؤمن بالخيانة والانتهازية ، ولاتكون فى الادارة الا تسلطا يرفض التعاون . والصراحة اولى بالانسان الاشتراكى من النفاق لانه خلق الاقطاع الاثير ، ولايتفق مع نشاط انسانى نظيف ، ونظل مع التحليل الخلقى حتى نصله بنظيره فى مصادرنا الدينية فنجد ان « أنا .. وبعدى الطوفان »كلمة قالها طاغية فاغرقته وحده فى الطوفان ، وان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار .

اننا بذلك الربط الواعى بين اخلاقنا الاجتماعية ومصادر العقيدة سوف نهيىء لضميرنا العام فرصة النقاء من كل مخلفات رديئة للنظم البائدة فى التربية والعلاقات العامة ، واعتقد أن اعيننا سوف ترى عند مستشرق هذا الأفق فى كثير من الوضوح والجلاء ان السلوك مسئولية ، وان الشجاعة والتعاون والأريحية معان هى كالمشاعل المضيئة تنير للسائرين السبيل ، وان الحب فى مستوى متفوق على لحظات الشبق بين الصدور المعتصرة فى الحجر المؤجرة ، لانه حبل رقيق من ورق الورد يربطنا بالوفاء وبالولد وبرفيقة الحياة .. وبالحياة .

عبد الفتاح بركات

الفن فى مجتمع العراق العشائرى

للدكتور مصطفى محمد جنين

يعد الشعر أهم تعبير فنى فى العشيرة العراقية ، ومكانته عند عشائر البادية شبيهة بمكانته عند عشائر الارياف ، ولهذا اللون من الفنون خطر فى حياة العشائر ، فهو الاداة التى يستعينون بها فى المنافرة ولاثارة الهمم عندما تحزب الامور ، سواء أكانت الاثارة لغزوة على عشيرة أو جماعة ، او لثورة ذات أهداف سياسية كما حدث فى ثورة ١٩٢٠ . ومن الابيات الجميلة التى هزتنى من الشعر السياسى بيت قاله أحد الشعراء الشعبيين فى وصف معركة عرفت فى ثورة ١٩٢٠ بمعركة (بنشة) حيث عاد منها المجاهدون من عشائر الفرات :

لعارج اعله اهواى عرنة بنشة
والى يرشه ابماى ابدم نرشه

ومعناه أن الانجليز قصدوا احتلال بنشة فنثرنا دماءهم على الارض ، وأنه اذا تعدى أحد على حبيبى ارش دمه مثلما رش دم الانجليز فى بنشة .

والشعر الشعبى أداة قوية ، دافعة عنيفة الدفع ، شديدة التأثير فى النفوس ، ويستعين رؤساء العشائر دائما بالشعراء عندهم لتحريك الجموع ، حتى أن قصيدة واحدة قالها شاعر دفعت عشيرة كاملة لحمل السلاح ، ويكون للبيت من الشعر فعل النار فى الهشيم اذا هتفت به امرأة فى معركة .

كما أن للشعر عندهم وظيفة اجتماعية هامة ، فهم اذا لم يرقهم تصرف مستحدث من جماعة أو فرد ، فان بيتا ، أو أبياتا من الشعر — تنتشر على الالسنة كفيل بأن يدفع صاحب تلك العادة المستحدثة الى نبذها والتبرؤ منها على الفور . كما أن الشاعر يعد عندهم مؤرخ الاحداث ومسجلها .

هذا بالاضافة الى أغراض الشعر الاخرى من توجع ورثاء لآل بيت رسول الله وخصوصا أمير الشهداء الامام حسين بن على ، وهو غرض ضخم من أغراض الشعر العراقى ، كما ينظم الشعر فى وصف الناس وأمور الدنيا والمفاخرة — الا أن وصف الطبيعة اقل الأغراض تناولا .

وما جلست الى رجل من عشيرة فى العراق الا

وكان يحفظ العديد من الابيات يتمثل بها فى المناسبات • وكلما ارتقى الصف الاجتماعى الذى ينتظمه الفرد ، كان اهتمامه بثقافته في هذا الميدان كبيرا • وهم يتبارون فى حفظ القصائد والدواوين الكاملة أحيانا ، لا لشعراء العشائر الشعبيين فحسب ، بل للشعراء العرب القدامى ايضا ، ويرون فى هذا علامة تدل على علو كعبهم فى ثقافة فكرية لازمة في مجتمعهم •

وهم فى التفافهم حول شاعر معين لا يهتمون ان كان من عشيرة أخرى منافسة بل ان اشتراكهم فى التأثر بنفس الشاعر يعد ـ فيما يرى الاستاذ عباس العزاوى ـ دليلا على اتحادهم فى المشارب وفى آدابهم العامة ، واذا كان هذا هو تأثير الشعر ومكانه فى العشيرة ، فان هــذا يدل على مكان الشعراء واحترامهم فى العشيرة الذين يلتف حولهم الرواة فالشاعر هنا هو الناقد الاجتماعى ، والمؤرخ المسجل لاحداثهم ، وقصيدة مشهورة منه ترفع القدر او تذل ، وتذيع الفضل أو تهدم كل جليل بناه صاحبه • فهم هناك أداة « الدعاية » الهامة ، وأثر دعايتهم اخطر بكثير من أثر أدوات الدعاية المستحدثة من صحافة واذاعة ، فاننا قد نقرأ المقال او نسمع الحديث ، ولا يبقى فى ذاكرتنا منه الا أقله ، ولكن البيت الساخر او الذى يصور موقفا أو حالة لجماعة أو لشخص ـ ان قاله شاعر منهم ـ فان البيت سيتناقله الرواة على الفور ، ويحفظه الجميع ؛ وتبقى الصورة التى رسمها فى ذاكرة الجماعة كلها كاملة واضحة ، ومن هنا كان اثرها أعظم واعمق وابقى، فلا زال للشاعر البدوى فى العشيرة العراقية نفس الاثر الذى كان للشعراء العرب القدامى ، اذ كان بيت الشاعر كثيرا ما يذل ويخفض ، كما يزيل الذل وينفضه • وقد أخذوا أخيرا ينشرون للشعراء الشعبيين فى عشائر العراق دواوين خاصة كديوان الحاج زاير ، كما أخذوا يجمعون شذرات ما نشروه فى دواوين مختلفة يجعلونها أحيانا متضمنة لشتى مواضيع الشعر العامى ، أو لموضوع واحد ، فى مرثيات الحسين وآل بيت رسول الله ، وهو موضوع شائع من موضوعات الشعر العامى فى العراق • كما أخذوا يهتمون أيضا بجمع تراجم مختلفة عنهم •

ونحن هنا نتكلم عن الشعر الشعبى الذى ينظمه شعراء العشيرة بلهجتها الدارجة ، ولابد للشاعر أن يلجأ الى استعمال هذه اللهجة ، والى استعمال معارف الجماعة التى يعيش بينها ، فلا يخرج عنها حتى تكون كلماته مفهومة ، ويكون لشعره الاثر الذى يريد أن ينقله كأداة فنية الى مشاعر الناس • وهذا الشعر العامى كان يسمى قديما بشعر « الحسكة » ، ولا زال الكثيرون يسمونه بهذا الاسم الى اليوم •

ولم يقتصر الرجال منهم على نظمه فقط ، بل نبغت أيضا عدة نساء أجدن من النظم فيه كفدعة ، ودرداغة ، وشيخة ، وكثير من امثالهن ، ولا يزال نظمهن محفوظا مستحسنا الى اليوم •

وهم يسمون القصيدة من شعرهم العامى «القصيد» وهى من ناحية التركيب لا تعد نظما صحيحا ، ويعبر عن هذا الاب انستاس الكرملى فيقول : « ان النظم عند هؤلاء الاعراب ليس نظما صحيحا ، يعنى انهم لا يتخذون وزنا من الاوزان (ولو كان من اختراعهم وخالى الوجود فى علم العروض) فانك لا ترى فيه تكرار بيت واحد على الوزن الذى تقدمه • بل الشىء الوحيد الذى تراه قد بقى عندهم من أثر الشعر القديم وهو وحدة الروى لا غير

بيد أنهم قد صنفوا شعرهم العامى أنواعا مختلفة، ووضعوا لنظم كل نوع منها قواعد معينة ، وانا لنذكر الأنواع التالية وهى أكثر انتشارا بين عشائر الريف عنها فى عشائر البادية • ولم أستطع ـ لضيق المجال هنا ـ أن أذكر امثلة عن كل نوع منها ، فأكتفى بتوضيح القواعد الضابطة لكل منها، وأحيل فى بيان الامثلة عنها الى ما ذكر فى كتاب السيد عبد الرازق الحسنى « الاغانى الشعبية » وكذلك ديوان الحاج زاير وغيرهما •

(١) **الموال** : (كشداد) وهو نوع من النظم كان اول من استعمله «السادة الموالى» من سادة الحويزة• وهو على خمسة اشطر وسبعة اشطر وتسعة •• وهلم جرا • وقاعدته أنه اذا كان خماسيا أن يكون الشطران الاولان من قافية واحدة مع اختلاف فى المعنى ، والثالث والرابع من قافية أخرى مع اختلاف فى المعنى ، ويلى ذلك الشطر الخامس ، وقافيته يجب أن تكون من قافية الشطرين الاولين مع اختلاف المعنى • واذا كان سباعيا اتحدت ثلاثة الاسطر الاولى بقافية واحدة ، وهكذا ثلاثة الاسطر الاخرى فانها تتحد بقافية ثانية وترجع قافية الشطر السابع الى قوافى الاشطر الثلاثة الاولى • هذا مع

اختلاف في المعنى بالطبع وهلم جرا ·· وهو من البحر « البسيط » والموال الذي نتكلم عنه هنا غير الموال الذي عرف في العراق اثر نكبة البرامكة وكان يعرف باسم « المواليا » ·

(٢) **(الابوذية)** : والابوذية كلمة مركبة من (أبو) اي ذو او صاحب ، و (ذية) وهي تخفيف اذية ، ومعناها (صاحب الاذية) · وقد سمي كذلك لان مؤلفه يكتبه وهو شديد التأثر بحالة نفسية معينة يستشعر منها الاذى والالم وهذا النوع من الشعر يتقوم من أربعة أشطر ، ثلاثة منها متحدة في القافية مختلفة في المعنى ، والشطر الرابع يختم بياء مشددة ، أو هاء مهملة ، وتدور الاشطر الاربعة للأبوذية حول معنى تضمنه بيت أو بيتان عربيان قديمان مشهوران وقد انتشرت الابوذية في العراق في السنوات الاخيرة انتشارا عظيما وكان محل ابتكارها قصبة الحي على نهر الفرات اليسرى شرقي الكوت وهي مركز قضاء في لواء الديوانية ، ثم سرت الى جهات العراق المختلفة · فتفنن الشعراء فيها وصاروا ينظمونها في العتاب والهجاء والتوجع والفخر والغزل وغير ذلك ·

(٣) **الهوسة** : وهو أكثر انواع الشعر شيوعا بين القبائل العراقية وهي تتكون عادة من شطر واحد ، وتستعمل في كل الاحايين وفي مختلف الاحوال ، ويرتجلها قائلها عادة بين جموع الناس ، يتناولونها بعد ارتجالها ويرددونها مرات عديدة بطريقة منغمة ، وهم يرقصون رقصات خاصة سأذكرها فيما بعد · والهوسة تؤثر على المهوسين كثيرا حتى تخرجهم عن شعورهم الاعتيادي في كثير من الأوقات ، ولذا تستعمل في الحروب أكثر من غيرها ، وهذا مثل لهوسة :

(أو هو يمسحها أو وداها) : قالها بنوز ربيع يعيرون الظوالم الذين أخذوا يسلمون الضرائب من البنادق التي فرضتها الحكومة المحتلة فانهم يمسحونها ويقدمونها ·

(٤) **الميمر** : وهو كالابوذية ولكن بحره ابسط من بحر الابوذية ، ويكون من اربعة أشطر ، ينتهي كل من الثلاثة الاولى بكلمات متجانسة الحروف مختلفة المعاني ، وينتهي البيت الرابع بكلمة آخرها راء ·

(٥) **الغناء** : ويسمى (نظم البنات) أيضا لان النساء يكثرن في العراق من هذا النظم وهو من « البحر الخفيف » ، ويقال له « الدرامي » ايضا · ومن امثلته : مر شخص من «الغراف» ببيت عشيقة له · فلما لمحته العشيقة سألت احد المستطرقين قائلة : اعرف بيت شعر طريف ، احفظ منه الصدر وقد نسيت العجز ثم أنشدت :

يل هنت روحي عليك
ريض لشوفك

فادرك العاشق سر الامر وأجاب عشيقته قائلا : انا اعرف العجز ثم نشد :

لا بي ارد وياك
لا بي اعوفك

(٦) **العتابة** : وهو كالابوذية ، وتكون الاشطر الثلاثة متجانسة القوافي في اللفظ ولكل منها معنى خاص ، أما الشطر الرابع فيختم بكلمة آخرها اما هاء ساكنة او ياء مخففة او الف مقصورة ·

(٧) **المربع** : وهو على أبحر كثيرة كابحر القريض، وتستهل القصيدة منه بشطر أو شطرين ، ويتكون كل بيت من أربعة أشطر ، ثلاثة منها على قافية واحدة وروي واحد والرابع على روي الاستهلال وقافيته ، ولا ينظم في هذا النوع الا القصائد الطوال ·

(٨) النص : أبيات تجري على روي واحد ووزن واحد الى حيثما شاء الناظم ، ويستعمل هذا النوع من الشعر للرثاء على الاكثر ·

(٩) **النايل** : من البحر البسيط ، ويتكون من شطرين متحدي القافية ·

(١٠) **اما شعر الحداء** : فهم يتغنون به عند ركوب الخيل وخصوصا اذا ما فزعوا وهجموا هجمتهم في غزواتهم · وفيه دائما شيء من التشبيب حتى يشجع الحادي نفسه ويشجع غيره من زملائه، والبيت دائما قصير ، لانهم يغنونه في تكرار مستمر ·

(١١) **واما شعر السامري** : فانه يقال في المسامرة ، وكله شعر غزلي ، وأبياته عديدة طويلة ، ويغنى في حفلات السمر والزواج والطرب ·

(١٢) **اما شعر البادري** : فهي قصائد لوصف الاخلاق والعادات وطباع الناس وهي أقرب شيء الى الموال ·

الدكتور محمد مصطفى حسنين

في موكب العلم

ما بعد منطقة الحيـاة

بقلم فوزى الشتوى

في السنوات الاخيرة من القرن الماضي سجل الباحث الفرنسي « تيسيرانس دي‌بورت » ماوصف وقتئذ بانه اعظم الاكتشافات في تاريخ الارصاد الجوية . كان المعروف وقتئذ ان الحرارة تنخفض ٦ر٠ من الدرجة المئوية كلما ارتفعنا مئة متر

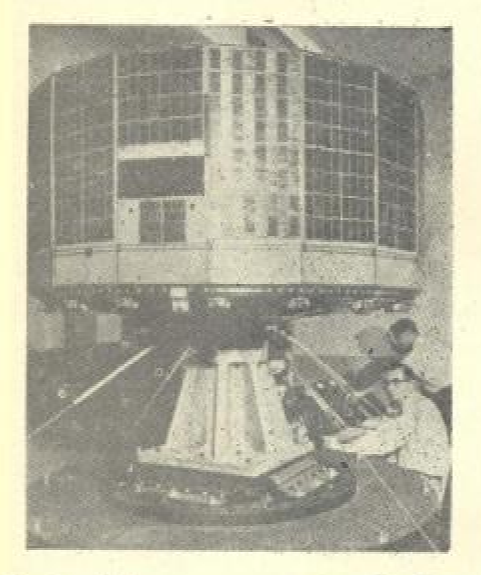
وكان المفهوم ان هذا الانخفاض يستمر الى مالا نهاية ، ولكن « دي بورت » استعان بالبالونات التي تحمل مقاييس تسجيل الحرارة ، واطلقها في الجو لتسجل حرارته ، فوجد ان تناقص الحرارة صحيح الى ارتفاع نحو ١١ كيلو مترا ، اما فوقه ، فانها لا تواصل الانخفاض ، بل من الجائز ان ترتفع قليلا

اكتشاف محير

وكان للاكتشاف صداه في الدوائر العلمية الباحثة عن اسرار الطبيعة ، اذ دل على وجود عوامل مجهولة لاتجعل الامور تسير على وتيرة واحدة ونظام ثابت. وظهر بعد ئذ ان «دي بورت » اكتشف منطقة جديدة تطلق عليها اسم الطخرورية (ستراتوسفير) .

ومن الشائع الان في علم الارصاد الجوية اعتبار الجو ، فوق منطقة الحياة ، مقسم الى جزئين ، وفي الجزء الاسفل منه تتناقص الحرارة كلما ارتفعنا عن سطح الارض · اما الجزء العلوى ، فشيء آخر تختلف احكامه باختلاف الارتفاع ، وكمية المادة السائدة فيه ، ونوعها ، ثم العوامل المؤثرة على هذه المادة ، واهمها اشعة الشمس

وللتبسيط اعتبرت الطبقة التحت الطخرورية الحد الفاصل بين منطقة الحياة ، حيث يمرح الانسان والاحياء على كوكب الارض ، وبين المنطقة الطخرورية. وهذه المنطقة الفاصلة اشبه بفشاء عجيب الشكل ، فهو سميك فوق خط الاستواء ، ويصل سمكه الى



القمر الصناعي تيروس . ومنه اطلقت امريكا عددا ليدور حول الارض ويكتشف اسرار مناطق الهواء والعوامل المؤثرة على طقس الارض

● ●

نحو ١٨ كيلو مترا ، ثم يتزلق ، ويتقوس ويتناقص سمكه كلما اقترب من القطبين حتى يصل الى ٨ كيلو مترات فقط . ومعنى هذا ان ابرد المناطق في الهواء تقع على خط الاستواء اشد مناطق الارض حرارة

عوامل نقل الحرارة

وكان السبب في تقسيم جو الارض بهذه الطريقة الدراسة التي أجراها العالم البريطاني « ارنست جولد» في عام ١٩٠٩ . وهي دراسة حسابية ملخصها

ان الحرارة تنتقل بثلاث وسائل هى الاشعاع المؤلف من موجات مغناطيسية كهربائية كاشعة الراديو ، مما يسمح لحرارة الشمس ، بان تجتاز شبه الخواء الموجود بين الكواكب ، وتصل الى جو الارض .

والعامل الثانى هو التوصيل ، فالحرارة تنتقل من جزيء أو جسم الى آخر عندما يتصادم الجسمان . واخيرا يأتى عامل التوزيع حين تنتشر الحرارة من اختلاط كميات كبيرة من الهواء بعضها ببعض . وخاصة المتصاعدة من سطح الأرض ودلت الدراسات على ان اشعاعات الشمس يتألف أكثرها من موجات قصيرة لا يقوى الهواء على امتصاصها ، فهى تصل الى الارض ، ومنها ترتد او تنعكس الى الهواء فوق سطحها . ولهذا كان من الطبيعى ان تزيد الحرارة على السطح ، وتقل كلما ارتفعنا عنه .

انعكاس من الارض

ويعتبر الهواء موصل ردىء للحرارة ، ولهذا فان حرارة الشمس تؤثر بطريق مباشر على سطح الارض، ومنه تنعكس ، فتسخن الهواء فوقه . وبالتسخين يتمدد الهواء ، وتقل كثافته عن الهواء البارد حوله ، وبحكم خفة ثقله يطفو فوقه غيره مما يؤدى الى حدوث التيارات الهوائية

وكانت الخلاصة ان اهم عوامل التسخين ونقل الحرارة قرب سطح الارض هو التوزيع ، فان قشرة الارض ترسل اشعتها فى كل اتجاه . اما فى المناطق العليا ، فان عوامل نقل الحرارة هى الاشعاع والاحتكاك . وتبعا لكثافة المادة فى الفضاء تتقرر حرارة المنطقة بفضل ما تمتصه المادة من حرارة الشمس ، ثم تنقلها الى سواها بالاحتكاك أو التلامس

وبالدراسة ظهر ان مايصل الى الارض من اشعة الشمس لا يتجاوز نصف ما ترسله ، اما الباقى ، فيرتد الى الفضاء ، بفضل عوامل طبيعية تجعل المواد تتفاعل مع بعض اشعة الشمس التى لو وصلت كاملة الى الارض لرفعت حرارتها الى درجة تجعل حياتنا فوقها مستحيلة . وتشهد لمحا من هذه الحرارة فى التسلخات الجلدية التى تصيب المصيفين الذى يعرضون اجسامهم فى غير حذر للحمامات الشمسية



احد الصواريخ البسيطة لدراسة مناطق الجو . وظهرت الى جانبية بعض الاجهزة التى تسجل الظواهر الطبيعية وترسل بياناتها الى الارض

نصف اشعة الشمس

وتتعاون مجموعة من العوامل الطبيعية فى ابعاد اكثر من نصف حرارة الشمس واشعاعاتها عن الارض . ومن هذه العوامل ما يحدث فيما نسميه بمنطقة الاوزون التى تظهر باجلى صورها على ارتفاع يتفاوت بين ٢٠ و ٤٠ كيلو مترا . ففى هذه المنطقة تتفاعل الاشعة الفوق البنفسجية المتناهية القصر مع غاز الاكسيجين الذى يتألف عادة من ذرتين ، فتجعله يتألف من ثلاث ذرات . وهى ظاهرة يندر ان تراها على الارض ، وطبيعة المركب الجديد سامة للانسان والاحياء

وحاول الباحث الامريكى « جون تونساند » الصغير دراسة ما يحدث حتى يتألف هذا المركب الغازى الغريب . وقدم نتائج دراساته بالصواريخ والبالونات وغيرها الى مؤتمر الجامعات لدراسات الفضاء ، فقال ان منطقة الاوزون تبدأ من ارتفاع ١٥ كيلو مترا ، وتمتد الى ارتفاع ٤٠ ، على ان اكثر تركيز لهذا المركب الاكسيجينى يوجد على ارتفاع ٣٠ كيلو مترا

ويتكون المركب فى مرحلتين تبدآن عندما تلتقى الاشعة الفوق البنفسجية بجزيء اكسيجين عادى

مؤلف من ذرتين ، فعندئذ يحدث تفاعل يفصل الذرة عن اختها . واذا ما التقت احدى الذرتين بجزيء عادي، ثم صدمهما جسم ثالث فان مركب الاوزون يتألف

وحالة هذه المنطقة وغازاتها غير مستقرة ، فان جزيئات الاوزون لا تلبث ان تتكون ، حتى تتعرض للانحلال بفعل الضوء ، حين تصدم ذرة اكسيجين بجزيء اوزون • ويبدو أن السر في تكوين هـذه المنطقة على هـذا الارتفاع بالذات هو كثافة المادة فيها • وهي في الغالب مؤلفة من غازي الاكسجيجين والازوت •

وبفضل منطقة الاوزون ظهرت الاحياء على الارض بدرع يقيها شر الاشعة الفوق البنفسجية الشديدة الفتك بالانسجة الحية . وبمعونة هذا التفاعل لاينفذ منها الى الارض الا مقادير تافهة لا تتجاوز واحد في المائة من كمية الاشعاعات التى تصل الى الأرض • ويفيد الجسم البشرى من هذه النسبة الضئيلة ، فيستعين بها في صنع بعض الفيتامينات التى لا غنى عنها لصحة الكائن الحى

❋ ❋ ❋

بخار المـاء

وبخار الماء وسحبه وشتى مكوناته من اهم العوامل في التقلبات الجوية ، وفي وقاية الأرض من اشعة الشمس . ويقول سير « جراهام ستون » مدير مكتب الارصاد الجوية البريطانى ، ان بخار الماء من اهم العوامل في الارصـاد الجوية . وبغيره لا يكون هناك علم الارصـاد الجوية فضلا عن ان حياتنا مستحيلة في جو كامل الجفاف . وهذا البخار هو الذى جعل علم الارصاد من اعقد العلوم الطبيعية

وتقينا السحب المحيطة بالارض من نحو ٤٠٪ من اشعاعات الشمس ، اذ تعكسها وتردها الى الفضاء، ويمتص بخار الماء العالق في الهواء نحو ١٢ ٪ ، كما تمتص مكونات الهواء الباقية نحو ٥٪ • وبرغم كل هذه الاشـعاعات المفقودة التى لا تصل الينا ، فان الحرارة التى تهبط من الشمس الى سطح الارض تكفى لاذابة قضيب من الثلج سمكه سنتمتر في ساعة

وبسبب اهمية بخار الماء يحاول الخبراء معرفة نسبه في مختلف مناطق الجو • ويستخدمون في هذا السبيل شتى الوسائل التى تصل الى هذه المناطق من بالونات وصواريخ واقمار صناعية • وقال الباحث « تونسند » في دراسته لهذا البخار ان اكبر تركيز له يوجد في منطقة على ارتفاع بين ١٢ ، ٣٢ كيلو مترا • ومن الجـائز أن نجد نسبا منه على ارتفـاع ٩٠ كيلو مترا

وتتباين الاقوال والاستناجات عما يشاهد في الجو من ظواهر طبيعية ؛ فتوجد مثلا السحب الصدفية على ارتفاع ٣٠ كيلو مترا ، كما شوهدت حبات قيل انها جليد على ارتفاع ٨٠ كيلو مترا . وتبعا للاهمية التى يوجهها رجال الارصاد الجوية الى بخار الماء، فان هذا العلم يتعرض اليوم لانقلاب لا يعرفون مداه، فالاقمار الصناعية « كتيروس » قدمت مجموعة ضخمة عن سحب لم نعرف من امرها الا القليل

عشرات المناطق

والى عهد قريب قيل ان الجو يمتد الى ارتفاع ٦٠٠ كليو مترا ولكن الدراسات الحديثة تقرر أن الجو يمتد الى مالا نهـاية ، وتبعا للتفاعلات التى تحدث في المناطق المختلفة قسم الفضاء الى عشرات من المنـاطق التى تتداخل احداها في الاخرى حتى انه يتعذر وضع حد يفصل منطقة عن اخرى . ولكل منها تاثيره المباشر وغير المبـاشر على طقس الارض وحياة سكانها ، ولكل منها ايضا صفاتها الطبيعية التى تميزها عن سواها

وفي المناطق القريبة من الارض نجد المادة كما الفناها وعشنا معها ، ولكنها تبدأ في تغيير شكلها كلما ابتعدنا عن سطح الارض اذ تتم فيها تفاعلات تحدث بفعل الاشعاعات المختلفة للشمس مما رأينا مثلا منه في منطقة الاوزون ، ومناطق التأين التى تحدثنا عنها في مقال سابق

واسرار هـذه التفاعلات ، وتفاصيل حدوثها ، لا تزال من الطلاسم ، لاننا لم نعرف بعد الاقليلا عن مادتها ، والبيئة المحيطة بها ، بل ان اشـعاعات الشمس نفسـها ليست كلها معروفة منا . وهى تدرس وتحدد وفقا لطول موجاتها. وحواسنا لاتميز الا القليل من هذه الموجات ، كما ان الكثير منهـا لاينفذ الى الارض ، ولايصل الينا لتكشفه اجهزتنا الحساسة •

المادة البدائية

وترسل الآن عشرات الاقمار الصـناعية المزودة بشتى الاجهزة لتكتشف البيئات والمواد السائدة في الارتفاعات المختلفة . وكان من أهم هذه الاكتشـافات

العثور على منطقة ارتفاعها اكثر من ١٨٠ كيلو مترا ، وفيها تتغير الخواص الاساسية للهواء والجو ، فتبدا جزيئات المادة فى التحلل وتتناثر على هيئة ذرات بينما هى على الارض على هيئة جزئيات اى أن جزيء الاكسيجين مثلا يتألف من ذرتين هنا . ولكنه يختفى وتظهر ذرته وحدها فى تلك الارتفاعات

ويعلل العلماء هذا التغير بما يسمونه بالتفاعلات الضوئية او الاشعاعات الشمسية التى تعد الطاقة التى تطهو هذه المواد ، وتحولها من حالة الى اخرى. وكل من هذه المواد تنتظم فى مناطق بفعل المجالات المغناطيسية السائلة فى الفضاء . وهى مجالات ليس من السهل تحديدها لان بعضها يخضع لكهربائية الارض ، وبعضها الآخر يخضع لكهربائية الشمس ، وما ترسله من مواد ذرية تؤثر على مجالات الارض . وفى هذه المناطق تنتظم ايضا احزمة الاشعاعات المختلفة

مادة الكون كهرباء

وتظل المادة تغير من شكلها الى ارتفاع آلاف الكيلو مترات واخيرا نجد هابحالتها البدائية حيث يسود عنصر الايدروجين وهو فى راى العلماء المادة الاساسية التى تألف منها الكون كله بما يحوى من عناصر مختلفة كالحديد والذهب . فنواة الايدروجين جسيمةبروتون ، ونواة أى عنصر عدد من البروتونات والنيوترونات المحاطة بغلاف من الالكترونات

وكل من هذه الجسيمات وفقا للاكتشافات الذرية الاخيرة عبارة عن مجموعة من الاغشية الكهربائية الشبيهة بطبقات البصلة ، فتجد غشاء موجب الكهربائية ، وفوقه آخر سالبها ، مما يحفظ للجسيمة حالة توازنها الكهربائى . والفرق بين جسيمة البرتون الموجبة الشحنة الكهربائية والنيوترون المتعادلة هذه الشحنة ان اغشية الاولى اكسبتها شحنة موجبة بينما اغشية الثانية عادلت ما فيها من قوى كهربائية

ويرجع العلماء ان كل ظواهر المادة كطاقة كهربائية او مجرد جسيمات ذرية موجودة فى الفضاء . وهى تحدث بطريقة لا نعرف كل اسرارها . ويتوسع العلم فى هذه الدراسات التى جمعت بين علوم الفضاء استعدادا لريادته ، وبين الدراسات الذرية او النووية التى نعمل جاهدين لاستغلالها . من اجل هذا التوسع ترسل الاقمار الصناعية المزودة بشتى الاجهزة لجمع البيانات لعل بعضها يعطينا مفتاحا لكشف ماخفى من الاسرار



القمر المستكشف ١٢ وهو مزود بعدة اجهزة لدراسة مادة الفضاء والمجالات المغناطيسية حول الارض . ويرى بعض الخبراء وفقا لبياناته ان حرارة الارض ترتفع حين تقترب منها بعض المواد التى تلفظها الشمس

❊ ❊ ❊

ومن الاسرار التى كشفتها هذه الاقمار ظاهرتى الاضواء البروجية التى تراها فى بعض الاوقات كخطوط ضخمة مضيئة فى السماء ، ثم الشفق القطبى الذى يظهر كانه ستارة لامعة مسدولة على الارض على ارتفاع من ٧٥ الى ١٤٠ كيلو مترا فوق المناطق القطبية . وتحققت الاقمار الصناعية ان هاتين الظاهرتين انما تتألفان من جسيمات ذرية لفظتها الشمس ، فاقتربت من الارض ، ثم انتظمت فى المجالات المغناطيسية المحيطة بها

ورغم كل ما يبذله الانسان من جهود لكشف اسرار الطبيعة المحيطة بكوكبه ، فانه يقف الآن على اولى درجات سلم المعرفة ، وزال من ذهنه انه سيد الكون وادرك فى يقين انه لا يعرف من العلم الا اقل من القليل

فوزى الشتوى

البريد الأدبي

وعد وسؤال

أما الوعد فهو للسيد صاحب الرسالة قبل الثورة ذكرني به ذكر (دميرة) ضمن فتوحات عمرو بن العاص فيما كتبه اللواء الركن محمود شيت خطاب في عدد الرسالة ١٠٢٤ بتاريخ ٢٩-٨-١٩٦٣ - فقد سأله مرة في جلسة ما الذي أتى بهؤلاء الأمراء في قرانا ؟ فقال : أتوا كما تأتي المصائب ! ، وامتد الحديث فقلت له ما رأيك فيما جاء في كتاب تاج العروس في شرح القاموس من أن (دميرة) كانت في القرن السابع الهجري على ما أذكر يقصدها علماء بغداد والكوفة ، لتلقى العلم والافتاء !! - أهذا حديث خرافة أم حديث حق ؟ فقال : ان هذا حقيقة بل هناك أكثر منه وساعني كل العناية بوضع رسالة أوضح فيها تاريخ منطقتنا العلمية وما كانت عليه من حضارة علمية تقدمية ..

واما السؤال فهو رجاء للرسالة وقرائها الاعلام فقد قرأت ضمن ما قرأت ان (أحمد شوقي) أرخ عودة (أحمد عرابي) من سجنه بقصيدة كان مطلعها :

صغار في الذهاب وفي الاياب
أهذا كل أمرك يا عرابي ؟

وبحثت عن القصيدة في الشوقيات فلم أجدها وكلفت بعض الزملاء البحث عنها فلم يوفقوا وليس مثل الرسالة وقرائها من يجيبني على الفور بهذه القصيدة كاملة ؟ .

وشكرا لصاحب الرسالة ولقراء الرسالة سلفا .

خورشيد عبد العزيز - الاسكندرية

حول دار الكتب العربية

ان القارىء يشعر في دار الكتب العربية بمدى ما بذل وما يبذل القائمون على أمرها من جهد تظهر صورته جلية واضحة في نظامها الدقيق .. وترتيب الكتب فيها بحسب الحروف الأبجدية بالنسبة للمؤلف تارة.. وبالنسبة لعنوان الكتاب تارةأخرى .. هذا الجهد لا شك يظهر جليا يأخذ بالألباب ويدعو الى الاعجاب .. كما حدث لى عندما زرتها في الايام الأخيرة عندما كنت في قاهرة المعز الجميل .. بيد أني لاحظت شيئا واحدا أثار في نزعة الغضب .. هذا الشيء يتلخص في المدة الزمنية التي يستغرقها عمال المخزن والسعاة في احضار الكتب المطلوبة .. ولا عجب ان قلت . .ان هذه الفترة تزيد أحيانا على ساعة بأكملها - يجلس القارىء فيها ينظر هنا وهناك دون مافائدة . .انني أرجو ضرورة توفير عدد من العمال والسعاة يتفق والكثرة الغالبة من جمهرة القراء حتى يتسنى للدولة توفير ساعة زمنية للقارىء وبالتالي انجاز الاعمال في يسر وسهولة .

عبد الحليم عبد الفتاح عويس

خاطرة ورجاء

كذلك كنت أتلمس القراء في اعادة قراءة ما مضى من أعداد ، وجمع ما تناثر من أعداد صدرت قبل التعرف اليها ومصادقتها .

والآن تعود الرسالة لتصل ما انقطع من مجالس العلم ، وتوضح ما غمض من شئون الدين ، وتكشف عما خفي من كنوز الاسلام ، وتشذب ما شذ في رياض الادب فأجدني أتلاقى معها في هدف ، وأعمل بجانبها في ميدان ، وأسير في ضوئها وغيرها الى غاية تتجمع في صون دين الله من الهوى والافك ، وحفظ لغة القرآن من العبث والادعاء ، ونشر القومية العربية في كل أرض ، وقهر الاستعمار الثقافي في كل فكر وجمع شمل العرب في وحدة ، وبعث تراثنا الادبي صافيا من الكدر نقيا من الخبث ، بعيدا عن سوء الاختيار والتشويه في الفهم والافهام . فعودة الرسالة في حياة صاحبها بشريان كلتاهما تدعونا الى تقدير هذه الجهود من الدولة في سبيل النهوض بالدين والادب ، والدفاع عن اللغة والعلم ، والى أن تدعو الله لصاحبها بطول العمر ومزيد القوة ، كما تدفعنا الى مواصلة الكفاح والعمل في المدرسة والمجتمع من أجل بناء جيل مؤمن عربي في لغته ولسانه وشعوره ، وتجعلنا نتمنى عليك أن تعيد باب « تعقيبات » للأستاذ المعداوي مزيدا من العناية بالنقد الأدبي ومداومة كتابة الافتتاحيات . وتنشر قصة كل اسبوع ، ليكتمل عقد الأدب بكل فروعه في مجانكم القراء .

محمد عبد الغفار حمزة
مدرس ثانوي بني سويف

محنة الخطابة الدينية

قرأت على صفحات الرسالة الغراء فى عددها رقم ١٠٢٤ مقالا بعنوان « مع الثورة الرابعة الدينية » ولما كانت الثورة الدينية فى حاجة الى قيادة رشيدة وتوجيه حكيم من الأئمة العلماء والوعاظ المرشدين ولما كانت الخطابة الدينية فى هذا العصر احدى المقومات التى يقوم عليها الاصلاح الدينى بل احدى وسائل التوجيه والاعلام مع الصحافة والاذاعة والتليفزيون ولها دور فعالوأهمية كبيرة فى مجتمعنا الاشتراكى الجديد وهذا يؤدى الى أن يسهم المسجد بنصيب موفور متمشيا مع النهضة الحاضرة ليكون مركزا للقيادة الشعبية والتعبئة الروحية والتوجيه الفكرى للثقافة الاسلامية مع المنبع الأصيل كتاب الله وسنة رسوله ٠

وهذا يفرض على السادة الأئمة الخطباء أن يكون لهم منهج علمى يسيرون على هديه ، يعتمد على الدراسة والبحث فى حقائق الاشياء وأن يتزودوا بمختلف الثقافات وبسائر المعارف الانسانية التى تساعد على تأدية رسالتهم على أحسن وجه حتى يكون لخطبهم ولوعظهم أثر يصل الى أعماق القلوب ٠

ولكن من ينظر الى الخطابة الدينية فى هذا العصر يجد أنها فى محنة شديدة وأنها فى حاجة الى ثورة ضد الجمود والتزمت والرجعية الذى لحق بها، بل انها أصبحت من مخلفات القرون الماضية ـ ذلك لان بعض الخطباء يتناولون الموعظة من الناحية الموضوعية فقط لا الواقع الذى نعيش فيه ونحس به.

حقا ان المفاهيم الدينية فى حاجة الى ثورة لتحرر العقول الجامدة من أسرها وتصفى النفوس من الرواسب التى علقت بها ٠

واننا نهيب بالمسئولين فى الازهر والاوقاف أن يتداركوا هذا الامر لانه يرتبط ارتباطا وثيقا بجوهر الدين وتعاليمه ومبادئه واقترح :

أولا : انشاء معهد لتدريبالأئمة والخطباء والوعاظ وتأهيلهم ٠

ثانيا : وضع خطة علمية منظمة على أحدث وسائل التوجيه الدينى يحتذيها الخطباء ٠

ثالثا : تعيين العلماء المتخصصين من حملة العالمية مع اجازة الدعوة والارشاد فىوظائف الامامةوالخطابة٠

الفاروق أحمد سلام

بل ثورة من أجل الدين

ينادى البعض الآن بثورة رابعة دينية ، ويرى أنها ضرورة ٠ لتسير جنبا الى جنب مع ثوراتنا السياسية والاجتماعية والثقافة حتى يتحقق المجتمع السوى الذى نصبوا اليه ٠

وليس من شك ان هذا الشعور الطيب نحو اهم مقومات الانسانية وعامل رقيها وتساميها انما يعنى ادراك قيمة الدين فى المجتمع . وهذا فى حد ذاته يبشر بخير عظيم فى الوقت الذى يواجه فيه الدين روح العداء لدى بعض اوساطنا الثقافية .. لكن ذلك لا يعنى أن نندفع مع التيار وفى ثورة الحماس لنهتف بثورة دينية قبل أن نناقش اولا مدلول كلمة ثورة .

ما هو معنى الثورة ؟

ان الثورة معناها التغيير الجذرى الشامل ٠

ان التعبير بثورة دينية تنقصه الدقة ٠

فالواقع انه كان يجوز لنا ان ننادى بثورة دينية لو اننا كنا لا نتعامل مع الدين بالمرة أو لو اننا كنا نتعامل معه ثم قعد بنا عن الوصول الى مجتمع القمة ٠٠ لكن الحقيقة اننا نتعامل مع الدين « بمزاجنا » اعنى اخذنا بعضه وتركنا بعضه ، وهذا ما افقده قوته وجعلنا بالتالى بعيدين عن روحه بعدا يساوى بحساب الزمن الف سنة على وجه التقريب ، ولاننا نتعامل مع الدين بهذه الطريقة كان التعبير بثورة يحتاج الى الدقة كما قلت .

ان الدقة فى التعبير تقتضى ان نقول نحن فى حاجة الى ثورة من اجل الدين . فمن اجل الدين وباسم الدين يجب أن يكون الفن عاملا على بناء المجتمع لا هدمه نستطيع أن ننقى تراثنا الدينى من كل الشوائب التى علقت به أو تسربت اليه أيام غفلة المسلمين وضعفهم .. ولهذه الطريقة يمكننا ان نخدم الشريعة الاسلامية باخلاص .

بقى ان نقول للذين يدعون الى تلخيص كتب الفقهاء انه مهما كانت الصورة التى سيكون عليها التلخيص فدعوة من هذا القبيل لا يمكن أن توصف بأقل من انها مخربة ومدمرة ، وانها لا تعنى سوى مسخ هذا التراث وتشويهه لكى يكون مكانه فى النهاية داخل أى قبو فى واحد من متاحف الآثار . اما الخدمة الحقيقية لهذا الدين فتؤكد تبسيط كتب الفقهاء لاتخليصها . واظن أن هناك فرقا شاسعا بين التبسيط والتلخيص .

عاطف محمد عيسى
المدرس بالازهر

أخبار علمية وأدبية

● اقامت لجنة احياء ذكرى الريحاني الثالثة والعشرين في ٢٢ من هذا الشهر مهرجانا . لهذه المناسبة برعاية الاستاذ رشيد كرامي رئيس وزراء بيروت ، وذلك في المعهد اللبناني وكان ممن تحدث في المهرجان : الدكاترة : احمد مكي ، وجميل جبر ، وكمال الحاج وعلى شلق ، والقى الاستاذ رشيد كرامي كلمة الحكومة ، كما اختتم الحفل السيد امين البرت بكلمة اسرة الريحاني

● يمكن الآن بناء عمارات بدون ملاط «مونة»عن طريق لحم الحجارة ، والآجر وكتل الاسمنت المسلح او اي من مواد البناء . اما الوسيلة فهي اداة تشبه جهاز اللحام بالاكسيجين ، ولكن يستخدم فيها الضوء الذي يصدر من انبوبة زجاجية اسمها «ليزر» وهي تركز الضوء والحرارة في سيال رفيع حرارته اقوى من الشمس ، ويستطيع صهر كل ما يصادفه

وقد جربه الدكتور « ازاى بالينكين » خبير الحراريات في جامعة سنستاتي فصهر اطراف الطوب والحجارة وجعلها تلتصق بعضها ببعض . وقال ان هذه الطريقة افضل من سواها في المباني التي يراد انشاؤها بسرعة ؛ لان جفاف « المونة » يحتاج الى وقت ، بينما جفاف الحراريات المصهورة سريع

● تصدر مكتبة النور بطرابلس — ليبيا — في الايام القلائل القادمة « دراسات عن المذهب الاباضي »

المؤلف هو الاستاذ المقدمي احد اتباع المذهب « الاباضي » الذي يتبعه حوالي ٢٪ من سكان مناطق الجبال بليبيا ، هذا المذهب احدى فرق الخوارج ، وهو اكثر اعتدالا من غيره من فرق الخوارج ومؤسسه عبد الله بن اباض الذي خرج على الخليفة الاموي مروان بن محمد في النصف الثاني من القرن الاول الهجري ، ويرى ان مخالفيه من اهل القبلة كفار غير مشركين

● بدأت دراسة الكوكب عطارد — أقرب الاجرام السماوية الى الشمس — بمعونة منظار الراديو الذي وجهه مرصد جولدستون بكاليفورنيا الى الكوكب الذي يبعد عن الارض ٩٦ مليون كيلومتر . وقد استخدم المرصد منظارا مساحة صحنه ٢٥٫٥ من الامتار ، وارسل موجات دقيقة قوتها ٢٥ الف مليون وات ، فصدمت سطح الكوكب ، وارتدت بقوة لا تتجاوز جزءا على مليون من الوات .

ومنها عرف الخبراء ان سطح الكوكب غير منتظم ، وكثير التضاريس . وتعد دراسة هذا الكوكب بالراديو من الامور المعقدة بسبب قربه من الشمس وتدخل اشعاعاتها في اشعة الراديو وافسادها ، فضلا عن عوامل اضعاف الموجات اذ تصدم المواد المتناثرة في الفضاء مما يضعفها كلما طالت المسافة

● يتجه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة الى تدعيم ونشر الثقافة الاسلامية في افريقيا ، وذلك بانشاء فروع في عواصم الدول الافريقية ، وتزويد هذه الفروع بالمصاحف المرتلة واسطوانات الصلاة ، والمطبوعات الاسلامية المترجمة بشتى اللغات المناسبة

وقد تقرر في الايام الاخيرة انشاء فرع للمجلس في كينيا ، ويتولى الاشراف عليه السيد علوى قاسم المشرف على نشر الدعوة الاسلامية بين مسلمي كينيا

● الصلب لا يصدأ في النجوم الاخرى ، اذ ظهرت فيها مادة تمنعه من الصدأ حتى لو عاش في الماء والجو الرطب ، واسم هذه المادة « تكنيتيوم » . وهي لا توجد على الارض ، ولكنها تنشأ في العمليات الذرية عندما ينشطر عنصر اليورانيوم او البلوتونيوم

واكتشف هذه الظاهرة الكيميائي « جوليهر » من مؤسسة كاربيد التي تدير معامل اوكريدج الذرية . وقال ان شتى التجارب لاحداث الصدأ في الصلب ، وهو مختلط بهذه المادة فشلت ، ولكن الحصول عليها على الارض صعب جدا ، فان ثمن الاوقية منها يبلغ ٢٥٠٠ دولار اي نحو ١٠٠٠ جنيه

قصة العدد

بين رأسمالى وأجير

الأستاذ حبيب الزحلاوى

العم ابراهيم شيخ تجاوز الخامسة والسبعين ، ربع القامة ، متين العضل صارم النظرة ، هادىء الحركة ، قليل الكلام ، تراه فى الصباح واقفا عند باب المتجر الكبير يوزع الخطابات الواردة على الموظفين ، يبادرهم بتحية الصباح والدعاء لهم بالتوفيق والحظ السعيد ، لقاء قرش كنا ندفعه عن طيب خاطر لهذا الشيخ الذى لا تفارقه الابتسامة الحلوة ، والكلمة الحلوة ، والادعية الحلوة .

لم يكن العم ابراهيم ساعيا فى البريد بل كان عاملا فى متجر كبير مهنته تسلم الخطابات الواردة باسم الموظفين وتوزيعها ، وان يحزم طلبات الزبائن الواردة من الارياف فى طرود يودعها ادارة البريد .

لم يحدث طوال حياة العم ابراهيم حادث واحد كضياع خطاب ، او نقص طلب ، او فقد طرد ، ولم يتوان فى خدمة من يكلفه من موظفين وعملاء ، لا طمعا فى الهبة بل لسماحة فطرية ومروءة مطبوع عليهما .

كان حظ العم ابراهيم يتساوى وحظوظ بقية موظفى المتجر مما ينالهم من هبات رب العمل لقاء مثابرتهم على العمل بنشاط من الساعة الثامنة صباحا الى التاسعة او العاشرة مساء — الا فترة الغداء ، ولم يكن ينقص حظه عنهم الا مرتين فى السنة . الاول يوم عيد رأس السنة ، حيث كان رب العمل يامر بتوزيع قطعة من قماش الصوف تصلح لبدلة يرتديها الموظف مدة فصل الشتاء ، وقطعة اخرى من التيل تصلح لكساء الصيف ، وقد كان سوء حظ العم ابراهيم انه يرتدى جلبابا وان ثمن الجلباب باكمله لا يساوى ثمن متر واحد من الصوف الذى انعم به على زميله الافندى ولكن رب العمل كان يمنحه عشرين قرشا اجرة الخياطة .

رب هذا المتجر معروف فى اكثر سكان مصر مشهور فى كل وسط ، محبوب من النساء والرجال ، وهو شيخ تجاوز الخامسة والسبعين من عمره ، نظرته اخاذة ساحرة وبياض شعره يوحى بالمهابة ، جذاب ، اما صوته اذا تكلم فيخيل للسامع انه جعجعة جمل ، وكان يعرف عند الكثيرات من النساء الساذجات وغير الساذجات بانه ولى موهوب ، وعند الفتيات اللائى توهمن فوات النصيب فكن يتصدين لهذا الشيخ ، بغية تلقى احداهن قبلة منه ، أو قرصة فى ذراعها ، او مسحة على راسها وخدها تكون طريقا للعريس المجهول .

كان من عادة هذا الشيخ ، الحضور فى كل عشية الى مكتبى يسالنى عن عدد الطرود التى ارسلت الى العملاء والزبائن وعن مقدار ثمنها ، وكان يسمح لى بتدخين سيجارة وارتشاف فنجان من القهوة بركزان ذهن الكاتب ، وقد صرت بحكم تكرار التحريض على التدخين ، أعتقد ان وراء زيارته لى فى كل عشية رغبة مستترة فى سجايرى لان لها طعما خاصا ولقهوتى نكهة وطعم ولذة .

حدث ذات عشية ان عاد العم ابراهيم من ادارة البريد مبكرا يحمل طردا رفضت المصلحة قبوله لنقص فى كتابة الحافظة وهو يرجو منى الاسراع بتصحيحها حتى لا يتاخر فى تصديرها وكانت لهجة العم ابراهيم بالكلام قوية ، ونبرات صوته حادة تحملان شبه مؤاخذة على عدم الانتباه ، وقد خطف الطرد والحافظة واظن انه ركض فى الطريق ليصل الى ادارة البريد قبل فوات الوقت ، ولما عاد يحمل لى دفتر الايصالات كانت علامات يقظة النشاط والراحة فى اتمام العمل على الوجه الصحيح بادية عليه .

قال لى صاحب العمل باللغة الفرنسية : الا ترى هذا المخلوق كيف يتكلم بقوة وحزم ويتحرك كالشباب بالرغم من أن سنه من سنى .

قلت ان بنيتك قوية كبنيته وصحتك جيدة كصحته .

قال : هذا هراء .. والتفت الى العم ابراهيم يساله كم عمره ، فاجاب كان عمرى خمسة عشر عاما حين دخلت فى خدمتك يا معلمى وقد مضى على ذلك ستون عاما .

رب العمل : اذا انت ياعم ابراهيم من عمرى .. هل لك أولاد ؟

العم ابراهيم : والله يامعلمى لقد عاشرت زوجتى حوالى الخمسين عاما فلم تنجب اما الان فقد اكرمنى الله وانعم على بالولد .

صاحب العمل : هل ولدت زوجتك العجوز ؟

العم ابراهيم : لا يا معلمي ان زوجتي الاولى قد اعطتك عمرها ، اما زوجتي الثانية فهي التي انجبت الولد الذكر منذ شهرين .

صاحب العمل : قلت يا ابراهيم ان زوجتك ولدت منذ شهرين فهل كنت تقوم بالواجب .

العم ابراهيم : ربنا يحفظك يامعلمي والبركة في خيرك على وفي الفول المدمس . واتى بحركة من ساعده تدل على الفتوة والنشاط .

انتفض صاحب العمل ، ونهض من فوق كرسيه وأخذ يضرب كفا بكف ، وقد تغير لونه ، وارتجفت شفتاهوأراد العم ابراهيم أن يخرجمن المكتب والتفت الى وقال ·· هذا الابن ·· فيالخامسة والسبعين ينجب ولدا ، ويباهي بنشاطه ، ويحمد الله على الفول المدمس ، وكان يضرب كفا بكف ضربا متواصلا ثم ينادي العم ابراهيم ويسأله كم عمر زوجتك يا ابراهيم ؟

ـ حوالى العشرين يا معلمي

التفت الشيخ نحوي وقال يأمرني بكتابة ايصال باستلام مبلغ عشرة جنيهات تدفع للعم ابراهيم .

توهم المسكين ان المبلغ هبة من صاحب العمل فانكب على يده يقبلها وهو يدعو له بطول العمر ودوام السعادة ، ولم يكن يدري المسكين ان ذلك المبلغ الزهيد هو مكافاة له على ستين عاما في خدمته، لأن الشيخ الثرى لم يعد يستطيع بعد اليوم ان يرى عاملا فقيرا في مثل سنه ينعم بما حرمه الله من لذة الحياة ومتعة الرجولة .

حبيب الزحلاوي



الدار القومية للطباعة والنشر